موقف البابوية من الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا (١٣٠٦– ١٣٢٩م)(*)

د. سونيا عبد الوهاب عبد ربه غازي
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ

تشكل الحروب والنزاعات في معظم الأحيان جانبًا رئيسًا في العلاقات السياسية التي تظهر بين الدول بعضها البعض، وظهر هذا الأمر جليًّا خلال فترة العصور الوسطى المليئة بحشد ضخم من سجلات الصراعات والحروب بين الدول التي سعى بعضها سعيًا حثيثًا لفرض الهيمنة والسيادة على بعض الدول الأخرى، لا سيما المجاورة لها، أو المشتركة معها في الحدود.

وخلال الحروب والعلاقات العدائية التي شغلت جانبًا هامًّا من التاريخ الأوربي الوسيط، تداخل العديد من العلاقات السياسية بين كثير من القوى السياسية، وظهرت أطراف خارجية كان لها تأثير واضح على العلاقات بين الدول المختلفة، كما غيرت تلك الأطراف الخارجية بشكل كبير من سير الأحداث؛ ونظرًا لأن البابوية كانت المؤسسة الدينية الرئيسة في الغرب الأوربي في العصور الوسطى، والتي لم تقتصر سلطاتها على الجانب الديني فقط، بل شملت أيضًا الجانب السياسي، فكانت المسيطرة على معظم الشئون في الغرب الأوربي، وإليها لجأ غالبية ملوك الغرب للحصول على الحل الفاصل في العديد من القضايا الدينية والسياسية، كما أن البابوية قامت بدور جوهري في حسم كثير من النزاعات والقضايا التي نشبت بين القوى الأوربية بعضها البعض، وسعت كثيرًا لفرض سطوتها على غرب أوربا .

ومن أهم القضايا التي قامت البابوية بدور بارز وفعال في تحديد

(*) مجلة المؤرخ المصرى، عدد يوليو ٢٠١٩، الجزء الثانى، العدد ٥٥.

طبيعتها وخط سيرها قضية الهيمنة الإنجليزية على المملكة الأسكتلندية، ومحاولات ملوك إنجلترا المستمرة لضم هذه المملكة إلى أراضيهم، فقد كان لملوك إنجلترا مطامع في أسكتلندا، ونجح بعضهم في فترات من القرن الثاني عشر الميلادي في جعل الأراضي الأسكتلندية تابعة لهم؛ لذا كانت العلاقة بين المملكتين في حركة دائمة من المد والجزر، وشهدت السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر الميلادي، والقرن الرابع عشر الميلادي محاولات ملوك إنجلترا لفرض سيطرتهم على أسكتلندا، وبالمقابل لم تنقطع ثورات الأسكتلنديين تحت قيادة زعمائهم الوطنيين للخلاص من تلك السيطرة والهيمنة الإنجليزية، وقد تحقق لأسكتلندا ما أرادت؛ إذ تخلى الإنجليز في عام ١٣٢٨م عن مزاعمهم بالهيمنة عليها، بعد حروب طاحنة بين المملكتين الإنجليزية والأسكتلندية استمرت فترة طويلة من الزمن.

وقامت البابوية بدور مهم في قضية الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، فقد تعاقب عدد من البابوات على الكرسي البابوي خلال فترة الحروب التي دارت بين إنجلترا وأسكتلندا، واختلف موقف كل واحد منهم ما بين مؤيد لقضية الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا وما بين معارض لها، وما بين التأييد والمعارضة شهدت علاقات البابوية وأسكتلندا كثيرًا من الأحداث.

وتنبع أهمية البحث من عدم وجود دراسات وبحوث عربية تناولت موقف البابوية من الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، فهو من الموضوعات التي لم تلق الاهتمام المناسب من جانب دارسي تاريخ أوربا في العصور الوسطى، حيث تعاني المكتبة العربية من نقص واضح في الدراسات التاريخية المرتبطة بالتاريخ الأسكتلندي خلال العصور الوسطى بصفة عامة، وبصفة خاصة الدراسات التي تهتم بموقف البابوية من بعض القضايا الأسكتلندية، وأهمها على الإطلاق موقفها من المحاولات الإنجليزية المستمرة لفرض الهيمنة على المملكة الأسكتلندية.

وفيما يتعلق بالدراسات الأجنبية السابقة فقد ركز العديد من الدراسات على بيان طبيعة وأحداث الحروب والمعارك التي دارت بين إنجلترا وأسكتلندا، وأشارت إلى الخطابات التي تمت بين البابوية وملوك أسكتلندا خلال هذه الحروب، دون التناول المتخصص لموقف البابوية تجاه المحاولات الإنجليزية لفرض الهيمنة على المملكة الأسكتلندية؛ لذلك تظهر أهمية وجود دراسة تهتم بهذا الجانب المهم، وهو ما يركز عليه البحث الحالي.

وقد تناولت إحدى الدراسات [١] بعض معالم الحروب التي دارت بين الإنجليز والأسكتلنديين من عام ١٢٩٦م حتى عام ١٣٢٨م، والتي يطلق عليها حروب الاستقلال الأسكتلندي، وخلال سرد لأهم المعارك التي دارت بين البلدين تناولت هذه الدراسة بعض الحالات التي قامت فيها البابوية بدور خلال هذه الحروب، لكنها ركزت بشكل كبير على دور البابا بونيفاس الثامن Boniface VIII (١٢٩٤-١٣٠٣م)[٢]، وهو ما لم يتناوله البحث الحالي الذي اقتصر على دراسة موقف البابوية خلال الفترة التي تلت بابوية البابا بونيفاس.

وفيما يتعلق بحدود البحث، فخلال تاريخ الصراع الإنجليزي – الأسكتلندي وقع العبء على عدد من القادة الأسكتلنديين الذين كان عليهم مواجهة التدخلات العسكرية للملوك الإنجليز من ناحية، ومن ناحية أخرى كان عليهم السعي للحيلولة دون الاصطدام بالبابوية. وكان الملك الأسكتلندي روبرت بروس Robert Bruce (١٣٠٦– ١٣٢٩م) القائد الأسكتلندي الأكثر نجاحًا في تحمل تلك المهام الوطنية، حيث تمثل فترة حكمه – لا سيما الفترة بين عامي ١٣٠٦م و١٣٢٣م– الفترة الأكثر قوة في التصدي لمحاولات فرض الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا؛ والتي شهدت تحيزًا واضحًا من البلاط البابوي للادعاءات الإنجليزية بالهيمنة على أسكتلندا؛ لذا سوف تقتصر حدود البحث الحالي على فترة حكم الملك روبرت بروس؛ حيث شكلت هذه الفترة جانبًا مهمًا

في تاريخ العلاقات البابوية– الأسكتلندية، واختلف موقف البابوية خلالها شكلاً وموضوعًا من قضية الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا عن الفترة التي سبقت وصول روبرت بروس للعرش الأسكتلندي .

وتزامنت فترة حكم الملك الأسكتلندي روبرت بروس مع جلوس اثنين من البابوات على الكرسي البابوي في مقره الجديد في مدينة أفينون Avignon، وهما البابا كلمنت الخامس Clement V (١٣٠٥–١٣١٤م)[٣]، والبابا جون الثاني والعشرون John XXII (١٣١٦–١٣٣٤م)؛ لذا اقتصر البحث على موقف البابوية من قضية الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا خلال فترة جلوسهما على الكرسي البابوي .

وقبيل الفترة موضوع البحث كانت البابوية معارضة لفرض الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، وهو ما ظهر جليًّا خلال فترة جلوس البابا بونيفاس الثامن على الكرسي البابوي؛ حيث كان البابا أكثر من قدم الدعم لأسكتلندا بوصفها مملكة مستقلة بشئونها بعيدًا عن التدخلات الإنجليزية، وقد تمثل هذا الدعم في عدة نقاط منها : إصداره قرارات بشغل مناصب كنسية داخل أسكتلندا ببعض الأساقفة الأسكتلنديين الداعمين للمقاومة الأسكتلندية ضد الإنجليز، وتعدد السفارات البابوية التي أرسلها إلى إنجلترا لحث ملكها على عدم التدخل في الشأن الأسكتلندي، وتسوية خلافاته مع أسكتلندا التي أطلق عليها " حليفته "، وإصداره أوامر إلى الملك الإنجليزي بضرورة إخراج كافة ممثليه وموظفيه من الأراضي الأسكتلندية، حيث إن الإنجليز ليس لهم أية حقوق في أسكتلندا؛ لكونها تابعة بشكل مباشر إلى الكرسي البابوي وليس إلى إنجلترا[٤].

وقد استمر البابا بونيفاس الثامن على موقفه المعارض لفرض الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا حتى اندلاع النزاع بينه وبين الملك الفرنسي فيليب الرابع Philip IV (١٢٨٥–١٣١٤م) عام ١٣٠٢م، ولما كان البابا في ظل هذا الصراع حريصًا على تلقي الدعم من الملك الإنجليزي، فقد أصبح على

استعداد تام لتغير موقفه من قضية الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، والسماح ولو بشكل جزئي بالتدخل الإنجليزي في الشئون الأسكتلندية [٥].

عقب موت البابا بونيفاس الثامن عام ١٣٠٣م، تولى البابا بندكت الحادي عشر Benedict XI (١٣٠٣-١٣٠٤م) منصب البابوية، وقد عرف بتأييده لسياسة الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، فأصبحت البابوية تمثل السند الرئيس لملوك إنجلترا لتحقيق حلمهم بضم أسكتلندا إلى بلادهم؛ حيث تبنت سياسة ارتكزت على تقديم دعمها للمزاعم الإنجليزية في الهيمنة على أسكتلندا التي أصبحت في مواجهة عسكرية ضد قوة الملك الإنجليزي الباطشة، وفي الوقت نفسه في مواجهة دينية وكنسية مع البابوية، وبدا كما لو كان محكومًا على أسكتلندا أن تتخلى عن حلمها كونها بلدًا قائمًا بذاته بعيدًا عن الخضوع للسيادة الإنجليزية.

وفي عام ١٣٠٥م وصل إلى منصب البابوية بيرتراند من جوث Bertrand de Goth رئيس أساقفة بوردو Bordeaux، والذي لقب بالبابا كلمنت الخامس[٦]. وبعد فترة قصيرة من وصوله للكرسي البابوي تبنى البابا كلمنت الخامس نفس سياسة سلفه، فوافق على كافة المزاعم الإنجليزية بالهيمنة والسيادة على أسكتلندا، وأكد حق الملك الإنجليزي في العرش الأسكتلندي، ففي العام التالي لانتقال المقر البابوي إلى أفينون، وخلال شهر فبراير عام ١٣٠٦م أعلن أن الملك الإنجليزي هو صاحب الحق في السيادة على الشعب الأسكتلندي[٧].

وقد أثار الاعتراف البابوي بتبعية أسكتلندا إلى إنجلترا غضب الأسكتلنديين – لا سيما الأساقفة ورجال الدين – فأصروا على أن يتم حكم بلادهم بشكل مستقل عن السيادة الإنجليزية؛ لذلك قاموا بتبرئة روبرت بروس إيرل كاريك Carrick مما اقترفه من جريمة قتل لغريمه جون كومين John Comyn إيرل بوكان Buchan ، ثم تتويجه ملكًا لأسكتلندا في دير مدينة

سكوني Scone في السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٣٠٦م، على يد رئيس دير سكوني وأساقفة كل من سان أندروز St. Andrews ، وجلاسكو Glasgow، وموراي Moray [٨].

وبتتويج روبرت بروس ملكًا على أسكتلندا يكون الأساقفة الأسكتلنديون قد أعلنوا تحديهم الصريح لكل من البابا كلمنت الخامس والملك الإنجليزي إدوارد الأول Edward I (١٢٧٢–١٣٠٧م)، حيث كان تتويج بروس ملكًا على المملكة الأسكتلندية بمثابة رفض للهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، وأيضًا رفض لقرار البابا الذي جاء في صالح مزاعم الملك الإنجليزي، ومن ثم اشتدت النزاعات بين البابوية وأسكتلندا .

ولم يكتف الأساقفة ورجال الدين الأسكتلنديون بتحدي قرارات البابوية، ورفض الهيمنة الإنجليزية على بلادهم، مقدمين كل ما في وسعهم لخدمة القضية الوطنية، وقاموا بإثارة الشعب الأسكتلندي ضد إنجلترا؛ فقد وصف دافيد David أسقف موراي (١٢٩٩–١٣٢٦م) الحرب ضد الإنجليز بالحرب المقدسة مثلها مثل الحرب الصليبية في بلاد الشرق الإسلامي؛ وبذلك فإن قتالهم يعد أمرًا مطلوبًا وإلزاميًّا[٩].

وترى الباحثة أن أسقف موراي قد بالغ كثيرًا في تشبيه الصراع بين إنجلترا وأسكتلندا في الغرب الأوربي بالصراع الإسلامي – الصليبي في بلاد الشرق؛ لأن كل صراع منهما له طبيعته وأسبابه ونتائجه التي تختلف تمام الاختلاف عن الآخر، لكن إذا وضعنا في الاعتبار أن أحد أهم الجوانب التي سعى الإنجليز في تنفيذها حال نجاحهم في فرض هيمنتهم على أسكتلندا كان العمل على إخضاع الكنيسة الأسكتلندية وكافة الأساقفة ورجال الدين في أسكتلندا للكنيسة الإنجليزية، يتبين أن رجال الدين كانوا في مصاف الفئات التي سعت بكل السبل لتعبئة الرأي العام في أسكتلندا ضد الإنجليز، معتمدين في ذلك على ثقة الشعب فيهم.

ولم يكن البابا كلمنت الخامس ليسمح بمرور مثل هذه الأحداث في أسكتلندا مرَّ الكرام؛ لذا أعلن في نهاية شهر مارس عام ١٣٠٦م عقوبة الحرمان الكنسي على كل من شارك في تتويج روبرت بروس ملكًا على أسكتلندا(١٠). كما أطلق العنان للملك الإنجليزي للقبض على بعض رجال الدين الأسكتلنديين الرافضين للهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، والمصرين على الدفاع عن قضية بلادهم، وقد استغل الملك الإنجليزي الأمر، فسعى لدى البابا لتوقيع عقوبة الحرمان ضدهم بتهمة الحنث باليمين، وإعلان التمرد ضده(١١). وكان روبرت ويشارت Robert Wishart أسقف جلاسكو أكثر المتضررين من السياسة البابوية الموالية لإنجلترا؛ ففي العاشر من شهر مايو من عام ١٣٠٦م تم تجريده من كافة وظائفه الكنسية، ومصادرة كافة ممتلكاته، وفي الثاني عشر من نفس الشهر أصدر البابا أوامره لرئيس أساقفة يورك York بالقبض عليه(١٢). وفي الثامن عشر من شهر مايو عام ١٣٠٦م أعلن البابا عقوبة الحرمان الكنسي مرة أخرى ضد روبرت بروس بتهمة قيامه في العاشر من شهر فبراير من نفس العام بتدنيس المقدسات؛ نظرًا لما ارتكبه من قتل جون كومين داخل كنيسة دومفريس Dumfries (١٣).

ولم يكتف البابا كلمنت الخامس بقرارات الحرمان الكنسي الصادرة ضد الملك الأسكتلندي وزعماء الكنيسة الأسكتلندية؛ لكنه أصدر في الثامن عشر من شهر يونيو عام ١٣٠٦م مرسومًا فوض من خلاله كلاً من رئيس أساقفة يورك وأسقف كارليل Carlisle إعلان عقوبة الحرمان الكنسي على الملك روبرت بروس ومناصريه في جميع الكنائس والأماكن العامة بإنجلترا(١٤). وفي الثاني والعشرين من شهر فبراير عام ١٣٠٧م قام البابا بتفويض الكاردينال بطرس من إسبانيا Peter of Spain وعددٍ من المبعوثين البابويين المتواجدين –حينئذٍ– في إنجلترا؛ للتأكيد على إعلان عقوبة الحرمان الكنسي على روبرت بروس وأتباعه(١٥).

واستمر البابا كلمنت الخامس في دعمه للهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، ومن أهم مظاهر الهيمنة التي أيدتها البابوية لدعم المزاعم الإنجليزية على أسكتلندا أنها تعاملت مع الكنيستين الإنجليزية والأسكتلندية على أنهما كيانٌ واحدٌ، كما تعاملت مع رجال الدين الإنجليز والأسكتلنديين كما لو كانوا جميعًا جزءًا من كيان واحد، فكان يتم استدعاء الأساقفة الإنجليز والأسكتلنديين في ذات الخطاب، مثلما تم دعوتهم في شهر أغسطس عام ١٣٠٨م إلى المجمع الكنسي في فيينا Vienne(١٦).

وعلى الرغم من الدعم المقدم من البابوية للهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، إلا أن الأوضاع غير المستقرَّة في إنجلترا لم تتح للملك إدوارد الثاني Edward II (١٣٠٧–١٣٢٧م) الفرصة لاستغلال هذا التأييد البابوي لشن حملة على أسكتلندا، وعليه تدخل البابا كلمنت الخامس لفرض هدنة بين البلدين في الثاني عشر من شهر فبراير عام ١٣٠٨م، على أن تستمر حتى الأول من شهر نوفمبر من نفس العام، مع إجبار الطرفين على التوقف عن الأعمال العدائية ضد أراضي الطرف الآخر، لكن لم يتوقف روبرت بروس عن حملاته العسكرية ضد الإنجليز(١٧).

ونظرًا لعدم اعتراف الملك روبرت بروس بالهدنة التي أقرتها البابوية أعلن البابا كلمنت الخامس في الحادي والعشرين من شهر مايو عام ١٣٠٩م أن روبرت بروس متمرد على سيده الأعلى الملك الإنجليزي إدوارد الثاني، وعليه أصدر ضده عقوبة الحرمان الكنسي مرة ثانية؛ لاستمراره في محاربة الإنجليز، رغم صدور الأوامر البابوية بالتراجع عن ذلك (١٨).

وعلى الرغم من أن البابا كلمنت الخامس كان يهدف من إصدار عقوبة الحرمان الكنسي ضد روبرت بروس إلى إضعاف موقفه بين الأسكتلنديين؛ إلا أن القرارات البابوية جاءت بتأثير مضاد؛ فعندما انعقد البرلمان الأسكتلندي في مدينة دندي Dundee في الرابع والعشرين من شهر

فبراير عام ١٣١٠م أعلن البارونات ورجال الدين الأسكتلنديون عن ولائهم وتأييدهم الكامل للملك الأسكتلندي بالرغم من القرار الصادر ضده من البابوية بالحرمان الكنسي(١٩). ولم يكتف رجال الدين الأسكتلنديون بتأييد ملكهم في قضيته ضد الكرسي البابوي، بل إنهم وقفوا بالمرصاد لكل رجل دين داخل أسكتلندا كان مسانداً للسيادة الإنجليزية على البلاد، ولم يكن داعمًا للقضية الوطنيَة، ووضعوا له الصعوبات في أداء مهامه، لدرجة تصل به إلى الطرد من منصبه الكنسي(٢٠).

وكرد فعل لهذه المواقف التي قام بها رجال الدين الأسكتلنديون سعى البابا كلمنت الخامس لمساعدة الملك الإنجليزي في حروبه التي يشنها على الأراضي الأسكتلندية، ففي الثالث عشر من شهر نوفمبر عام ١٣١٢م تدخل البابا لتسوية الخلافات بين الملك إدوارد الثاني والبارونات الإنجليز، وكان أهم بنود التسوية أن يتعهد البارونات بتقديم الدعم للملك الإنجليزي في حروبه ضد أسكتلندا، والموافقة على جمع إعانة من جميع أنحاء إنجلترا من أجل الحروب ضد الأسكتلنديين(٢١).

وعلى الرغم من دعم البابوية للملك إدوارد الثاني، لم تتمكن القوات الإنجليزية من تحقيق أية نجاحات عسكرية في أسكتلندا؛ وعليه أصبحت إنجلترا في حاجة لتجديد الهدنة مع أسكتلندا؛ لذلك أرسل البابا كلمنت الخامس سفارة إلى إنجلترا في الثالث والعشرين من شهر مايو عام ١٣١٣م؛ بهدف السعي لتجديد الهدنة بين إنجلترا وأسكتلندا(٢٢). لكن رغم محاولات البابا الدبلوماسية تجددت الحرب بين الإنجليز والأسكتلنديين، فبمجرد انتهاء الهدنة في شهر مارس عام ١٣١٤م قام الأسكتلنديون في بداية شهر يونيو بشن عدة هجمات على منطقة الحدود والمقاطعات الإنجليزية الشمالية؛ مما دفع الملك الإنجليزي للسعي لدى البابا للتدخل لتمديد الهدنة مع الأسكتلنديين بسلطة البابوية حتى التاسع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٣١٤م (٢٣) .

وفي المقابل أصر الأسكتلنديون على مواجهة الكرسي البابوي، ورفضوا الاعتراف بالهدنة، ونجحوا أيضًا في تحقيق مزيدٍ من الانتصارات العسكرية ضد الجيوش الإنجليزية خلال تلك الفترة لاسيما انتصارهم الساحق على الإنجليز في معركة بانوك بيرن Bannockburn في الرابع والعشرين من شهر يونيو عام ١٣١٤م التي كانت بمثابة نقطة تغيير في مجرى الحرب بين البلدين؛ حيث أصر الملك الأسكتلندي على مواصلة الحرب حتى الاعتراف الإنجليزي بأسكتلندا مملكة مستقلة(٢٤)؛ ولذلك استمر الأسكتلنديون بإثارة الأعمال العدائية، لاسيما في منطقة الحدود، وشهد عام ١٣١٥م مزيدًا من الغارات الحدودية على شمال إنجلترا(٢٥).

وعلى الرغم من أن الانتصارات العسكرية التي حققها الأسكتلنديون على الجيش الإنجليزي كانت تشير من الناحية العسكرية إلى أن المزاعم الإنجليزية بالهيمنة على أسكتلندا في طريقها إلى الزوال، إلا أن الموقف من المنظور الديني والكنسي كان بائسًا؛ فقد استمرت البابوية في دعمها للمزاعم الإنجليزية في أسكتلندا، وأصر البابا كلمنت الخامس على عدم الاعتراف بروبرت بروس ملكًا على أسكتلندا.

وقد استمر البابا كلمنت الخامس في دعمه للتدخلات الإنجليزية حتى موته في الرابع عشر من شهر أبريل عام ١٣١٤م(٢٦). وبموته تنتهي فترة من توتر العلاقات بين البابوية والمملكة الأسكتلندية، كان الكرسي البابوي خلالها عدوًا مؤكدًا للوطنيين الأسكتلنديين، ومؤيدًا قويًّا للهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا.

وبعد موت البابا كلمنت الخامس ظل منصب البابوية شاغرًا لمدة عامين(٢٧). وفي شهر سبتمبر عام ١٣١٦م جلس البابا جون الثاني والعشرون على الكرسي البابوي(٢٨). ولم يكن لدى الأسكتلنديين أملٌ كبيرٌ في كون البابا الجديد سيتبنى سياسة مغايرة لتلك التي تبناها سلفه؛ لأنه لم يكن في نظرهم

سوى رجل فرنسي من إحدى الإقطاعيات التابعة لملك إنجلترا، كما أنه في ظل توتر العلاقات بين البابوية وفرنسا، فمن المؤكد أن البابا سيكون حريصًا على الحفاظ على العلاقات القوية بين البابوية وإنجلترا، وبناءً عليه، لم يكن من المتوقع منه أن يقدم الدعم لأسكتلندا في كفاحها ضد المحاولات الإنجليزية المستمرة لفرض الهيمنة(٢٩).

على أية حال، نتيجة الهزائم المتكررة للإنجليز على يد الأسكتلنديين كان لدى الملك الإنجليزي إدوارد الثاني رغبة قهرية لإحلال السلام مع أسكتلندا؛ إلا أن الجانب الأسكتلندي رفض الدخول في أية معاهدات أو هدنة قبل الاعتراف الإنجليزي بكون أسكتلندا مملكة مستقلة بعيدة عن التدخلات الإنجليزية، وفي ظل عدم قدرته على إحراز أية انتصارات حاسمة في ساحة القتال، لجأ الملك الإنجليزي إدوارد الثاني إلى سلاح الحرب الدينية والنفسية، فتوجه نحو البابوية؛ لتهدئة الأمور مع الأسكتلنديين(٣٠). وقد وجد الملك الإنجليزي في البابا جون قوة أعلى وأداة جيدة لخدمة أغراض السيادة الإنجليزية على أسكتلندا؛ فعندما تقدم بطلب للبابا للتدخل لعقد هدنة مع الأسكتلنديين، أصدر البابا مرسومًا بابويًّا من مقره في أفينون في الأول من شهر يناير عام ١٣١٧م بعقد الهدنة لمدة عامين، لكن بنود المرسوم أظهرت تحيزًا واضحًا للجانب الإنجليزي؛ فقد أشار البابا إلى ممثل الطرف الإنجليزي بعبارة "ابننا الأثير تحت راية المسيح، الغني عن التعريف إدوارد الثاني ملك إنجلترا "، بينما تمت الإشارة للطرف الأسكتلندي بعبارة "ابننا المحبب، النبيل روبرت بروس الذي يعتبر نفسه ملكًا على أسكتلندا " (٣١).

وكان البابا جون على دراية بأن مسألة فرض الهدنة أمرٌ غير مرغوب فيه لدى الملك الأسكتلندي روبرت بروس؛ لذا كان حريصًا على إظهار أهمية عقد الهدنة بين البلدين، وعواقب خرقها، وعليه جاء في المرسوم البابوي " أنه من المحزن أن نرى الدم المسيحي يُسفك بالحروب الأهلية، بينما نترك الأرض

المقدسة تدعو دون مجيب طلبًا للتحرر؛ ولذا فقد رأينا إقرار هدنة بين البلدين لمدة عامين، ومعاقبة من ينتهكها بعقوبة الحرمان الكنسي "[٣٢].

ولم يكتف البابا جون بإصدار مرسومه السابق، فقام في الخامس عشر من شهر مارس عام ١٣١٧م بإصدار مرسوم جديد بموجبه تم توجيه تعليماته إلى اثنين من الكرادلة، وهما جوسيلين دي جان Gaucelin de Jean ولوكا فيسكي Luca Fieschi ؛ بالتوجه إلى إنجلترا بهدف السعي لإحلال السلام بينها وبين أسكتلندا[٣٣]. واصطحب الكاردينالان معهما هيئة من المساعدين الأكفاء، وكلفهم البابا بضرورة إجبار الطرفين على التصالح، لا سيما الطرف الأسكتلندي، وفي حالة ما إذا ظل على موقفه المتعنت من إقرار الهدنة مع إنجلترا يتم توجيه أقصى درجات العقاب إلى شخصه وأنصاره، وتبرئة كافة رعاياه من بيعتهم له بالولاء، واعتباره وكافة أتباعه مذنبين بتهمة إحراقهم للكنائس الإنجليزية[٣٤]. أما في حالة التوصل إلى سلام بين الطرفين، يتم دعوة الملك روبرت بروس للمشاركة في النشاط الصليبي ضد الشرق[٣٥].

وفي السادس عشر من شهر مارس عام ١٣١٧م أرسل البابا إلى الملك الأسكتلندي رسالة يعلمه فيها بأمر السفارة البابوية، إلا أن صيغة الرسالة كانت سببًا في عرقلة عملية السلام بين إنجلترا وأسكتلندا، كما كانت سببًا في تعقيد العلاقات أكثر بين الكرسي البابوي وأسكتلندا؛ فقد أصر البابا على عدم الاعتراف بروبرت بروس كونه ملك الأسكتلنديين، وخاطبه في الرسالة بـ " الرجل الذي جعل نفسه ملكًا على أسكتلندا "؛ لذلك كان الخطاب بمثابة إنهاء لمهمة السفارة البابوية حتى قبل أن تبدأ[٣٦].

وفي الثامن والعشرين من شهر مارس عام ١٣١٧م فوض البابا كلاً من رئيس أساقفة كانتربيري Canterbury، وأسقف وينشيستر Winchester؛ لإعلان عقوبة الحرمان الكنسي على كافة النبلاء الذين يحاربون الملك الإنجليزي أو يهاجمون أراضيه، ولما كان الملك الأسكتلندي روبرت بروس من

وجهة نظر البابا تابعًا للملك الإنجليزي، فكان بطبيعة الحال ضمن من سيوقع عليهم تلك العقوبة(٣٧). وفي بداية شهر أبريل من نفس العام أرسل البابا أحد السفراء إلى أساقفة كل من نورويتش Norwich و إيلي Ely؛ بهدف تحذير الملك الأسكتلندي من عاقبة التعدي على أية أراضٍ تابعة للتاج الإنجليزي سواءً في إنجلترا أو مقاطعة ويلز أو أيرلندا(٣٨).

ومن أجل ضمان نجاح السفارة البابوية في تحقيق هدفها- الذي سيكون في صالح الملك الإنجليزي- قام البابا جون بإصدار عدة مراسيم حملتها السفارة معها إلى إنجلترا، منها مرسوم بابوي تم تأريخه في الرابع من شهر أبريل عام ١٣١٧م يتضمن قرارًا بالحرمان الكنسي ضد كل من الملك الأسكتلندي روبرت بروس وشقيقه إدوارد بروس؛ لقيامهما بالتدخل في الشئون الإيرلندية(٣٩). فضلاً عن مرسوم آخر بتاريخ العاشر من شهر أبريل ضد جماعة الرهبان الفرنسسكان Franciscan التي حرضت خطبهم العلنية الإيرلنديين للانضمام إلى الأسكتلنديين، وإعلان التمرد ضد الحكومة الإنجليزية(٤٠). كما قام البابا خلال شهر يونيو عام ١٣١٧م بتوجيه رسائل إلى رجال الدين والنبلاء وكافة الشعب الأسكتلندي، يطالبهم خلالها بتسهيل مهمة مبعوثي البابوية داخل بلادهم (٤١).

على أية حال، وصل مبعوثو البابوية إلي إنجلترا في بداية شهر يوليو عام ١٣١٧م، وعلى الفور دعا الملك الإنجليزي إدوارد الثاني البرلمان الإنجليزي للاجتماع في مدينة نوتنجهام Nottingham؛ لتبليغه بالمهام المكلف بها المبعوثون، وفي بداية شهر أغسطس تحرك المبعوثون نحو أسكتلندا(٤٢). ولم يستكمل الكاردينالان جوسيلين دي جان ولوكا فيسكي الرحلة بنفسيهما إلى أسكتلندا، فبمجرد وصولهما إلى مدينة دورهام Durham في نهاية شهر أغسطس عام ١٣١٧م قاما بإرسال اثنين من السفراء المصاحبين لهما، وهما أسقف كوربيل Corbeil وحاكم مقاطعة أومري Aumery إلى

أسكتلندا؛ لبدء التفاوض مع الأسكتلنديين، وعُهد إليهما بتوصيل الرسائل البابوية للملك الأسكتلندي [٤٣].

أما على الجانب الأسكتلندي، فقد توافر لدى الملك الأسكتلندي معلومات عن خطورة ما سيرد إليه من جانب مبعوثي البابوية، ومدى تحيز البابا جون للجانب الإنجليزي، وعليه فقد كلف اثنين من زعماء قطاع الطرق الموجودين في منطقة الحدود –غير الآمنة وقتئذٍ– وهما والتر سيلبي Walter Selby و جيلبرت من ميدلتون Gilbert of Middleton بمهمة اعتراض طريق مبعوثي البابا، والاستيلاء على كافة ما يحملونه من رسائل ومراسيم بابوية[٤٤].

وفي الأول من شهر سبتمبر عام ١٣١٧م ومع اقتراب مبعوثي البابوية من مدينة راشيفورد Rushyford – الواقعة بين مدينتي دورهام ودارلينجتون Darlington– هاجمتهم مجموعة بزعامة كل من جيلبرت من ميدلتون ووالتر سيلبي، حيث اندفعوا من إحدى الغابات المجاورة للطريق، وتمكنوا من محاصرة سفراء البابا، والاستيلاء على كافة متاعهم ومتعلقاتهم، ومن ثم فقد اضطر السفراء لاستكمال رحلتهم إلى أسكتلندا سيرًا على الأقدام[٤٥].

ولا شك أن الملك الإنجليزي إدوارد الثاني لم يكن ليضيع فرصة المعاملة غير اللائقة التي تعرض لها مبعوثو البابوية للعمل على زيادة التوتر في العلاقات بين البابا والملك الأسكتلندي؛ لذلك بمجرد سماعه عن الاعتداء على سفراء البابوية، سارع بمراسلة البابا في العاشر من سبتمبر عام ١٣١٧م معلنًا استياء إنجلترا لما حدث، ومؤكدًا أنه سينتقم للسفراء والكنيسة[٤٦].

على أية حال، بمجرد وصول سفراء البابا جون إلى أسكتلندا استقبلهم الملك روبرت بروس بحفاوة بالغة، وبعدما استمع للرسالة المكلفين بتوصيلها، أجاب بأنه طالما رغب في سلام دائم بين بلاده وإنجلترا، ولكن في حالة ما ظل البابا والملك الإنجليزي يخاطبونه بصفته مجرد حاكم أسكتلندا، وتجريده من لقب

الملك الذي يستحقه، فإنه لن يتمكن من تنفيذ المطلب البابوي بالموافقة على عقد الهدنة مع إنجلترا، كما أضاف الملك روبرت بروس أسبابًا أخرى تمنعه من اتخاذ القرار بالموافقة على الهدنة، أو البت فيما قدمه مبعوثو البابوية بدون دعوة البرلمان الأسكتلندي للانعقاد، والذي لن ينعقد إلا في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر(٤٧)، وفي ختام حديثه مع مبعوثي البابوية ذكر روبرت بروس- متهكمًا- أنه يوجد العديد من البارونات الأسكتلنديين الذين يشاركونه في حكم المملكة يحملون اسم روبرت بروس، ويمكن لمبعوثي البابا توجيه الرسائل البابوية إليهم، كما أكد الملك الأسكتلندي لسفراء البابا أنه لن يعطيهم أية إجابة على المطالب البابوية، وأنه لن يتحمل مسئولية أية رسائل لم يتم توجيهها إلى ملك أسكتلندا(٤٨).

وقد حاول مبعوثو البابا بذل كافة الجهود الممكنة لتوضيح الأمر للملك الأسكتلندي، فذكروا أنه ليس من المعتاد للبابوية أن تجحف بحق طرف من الأطراف المتنازعة، ولا تنحاز لأية أطراف بأية أفعال أو أقوال، وعندما طلبوا من الملك الأسكتلندي وقفًا مؤقتًا للأعمال العدائية مع إنجلترا، أجاب بأنه لا يستطيع الموافقة على مطلبهم دون مشورة البرلمان الأسكتلندي، لا سيما أن الإنجليز حتى وقت وصول مبعوثي البابوية إلى أسكتلندا كانوا مستمرين في اختراق الحدود الأسكتلندية، وغزو بعض أجزائها(٤٩).

وعندما استفسر مبعوثو البابوية من مستشاري الملك عن سبب رفضه للمطالب البابوية، فكان الرد بأن الملك الأسكتلندي أدرك أن الرسائل البابوية لم تكن موجهه إليه؛ لأن البابا لم يرغب في أن يخاطبه بلقبه الملكي، ولو أن الرسائل كانت موجهة إليه بصفته ملك الأسكتلنديين، فمن المؤكد أن محادثات السلام كانت ستبدأ على الفور، ولكن مع إصرار البابا على موقفه، فإن الملك أو مستشاريه لن يقبلوا مطالب البابوية المتعلقة بتوقيع الهدنة مع إنجلترا(٥٠). وعلى الرغم من رفض الملك الأسكتلندي تنفيذ مطالب البابا، إلا أنه كان يرغب

في عدم زيادة التوتر في علاقاته بالبابوية، ومن ثم كان حريصًا على الاعتراف أمام مبعوثي البابوية بكامل احترامه وتبجيله للبابا جون، والتأكيد على أن أسلوب الرسالة الموجهة إلى أسكتلندا يُظهر تحيزًا واضحًا لصالح الطرف الإنجليزي، ويجهض أية محاولة لإقرار السلام(٥١).

وكيفما كان الأمر، خلال الفترة التي قضاها كل من أسقف كوربيل وحاكم مقاطعة أومري في أسكتلندا كان الكاردينالان قد مكثا في مدينة دورهام؛ لذا عقب فشل المهمة البابوية في أسكتلندا توجه السفيران نحو المدينة لمقابلة الكاردينالين؛ لإبلاغهما بما حدث مع الملك الأسكتلندي، وبدافع من رغبتهما في إتمام المهمة قرر الكاردينالان بذل جهود أخرى لإعلان الهدنة البابوية في أسكتلندا(٥٢). ولتحقيق ذلك، عُهد بالمرسوم البابوي والرسائل البابوية إلى الأسقف أدم نيوتن Adam Newton، الأب الوصي على الرهبان الفرنسسكان بأسقفية بيرويك Berwick، حيث صدرت له الأوامر بالتوجه نحو البلاط الأسكتلندي؛ لتوصيل رسائل البابا لكل من الملك الأسكتلندي والأساقفة الأسكتلنديين(٥٣).

وعليه توجه أدم نيوتن نحو أسكتلندا في منتصف شهر ديسمبر عام ١٣١٧م، وبمجرد وصوله أخبره أحد مستشاري الملك الأسكتلندي يدعى ألكسندر سيتون Alexander Seton أنه لن يقابل الملك شخصيًّا، وأنه يتوجب عليه أن يُسلمه الرسائل البابوية ليقوم هو بتسليمها إلى الملك، وقد امتثل نيوتن للتعليمات، ومرة ثانية يجد الملك الأسكتلندي أن الرسائل لم توجه إليه باعتباره ملك أسكتلندا، وعليه أعلن للمندوب البابوي أن البابا لم يترك له سبيلاً للامتثال لما ورد بالرسائل البابوية طالما ظل على موقفه بتجريده من لقبه الملكي (٥٤).

وبمجرد استلام المندوب البابوي رد الملك الأسكتلندي بعدم الامتثال لما جاء في الرسائل البابوية، أعلن على الفور – بسلطة البابوية – إرساء دعائم

هدنة بين إنجلترا وأسكتلندا لمدة عامين، لكن قوبل هذا الإعلان بالرفض من الجانب الأسكتلندي(٥٥). وبناءً عليه لم يكن أمام المندوب البابوي إلا أن يطلب من الملك الأسكتلندي السماح له بمقابلة رجال الكنيسة الأسكتلندية حيث صدرت إليه الأوامر بالتشاور معهم، أو على الأقل منحه الأمان للعودة إلى مدينة بيرويك، لكن تم رفض المطلبين، وصدرت الأوامر إلى المندوب البابوي بمغادرة المملكة على مسئوليته الخاصة بدون حماية أسكتلندية(٥٦). وفي طريق العودة تعرض آدم نيوتن للهجوم على يد أربعة قطاع طرق، وتم تجريده من كل ما كان يحمله، بما في ذلك الرسائل البابوية والمرسوم الخاص بعقوبة الحرمان الكنسي ضد الملك الأسكتلندي روبرت بروس(٥٧).

وبالتأكيد أن الأحداث الجارية في أسكتلندا لم تتم في غفلة من البابا، وأن الانتهاكات التي لحقت بمبعوثي البابوية على يد الأسكتلنديين قد وصلت إلى مسامعه؛ وعليه قام بإرسال مرسوم بابوي جديد إلى الكاردينالين في إنجلترا في التاسع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٣١٧م، يحمل توجيهات صارمة بضرورة فرض هدنة لمدة عامين بين إنجلترا وأسكتلندا، مع التأكيد على عقوبة الحرمان الكنسي الصادرة ضد الملك روبرت بروس(٥٨). وقد استقبل الجانب الإنجليزي المرسوم البابوي بكل ارتياح وترحيب، وتم تعليقه في الكنائس والأماكن العامة، لكن الجانب الأسكتلندي رفض الاعتراف بالمرسوم البابوي بشكل كلي(٥٩).

وهكذا كان البابا جون الثاني والعشرين يحابي الجانب الإنجليزي، ويسعى لإضعاف شوكة الملك الأسكتلندي بما يخدم الادعاءات الإنجليزية بالهيمنة على المملكة الأسكتلندية، ويشير أحد الباحثين الحديثين أن دسائس الملك الإنجليزي إدوارد الثاني في البلاط البابوي ضد أسكتلندا، والهبات والأموال الهائلة التي قدمها سواء للبابا أو الكرادلة جميعها كانت دوافع لإصرار البابا على إعلان الهدنة التي كانت مرغوبة بشدة من الجانب الإنجليزي(٦٠).

كما يضيف باحث آخر أنه من غير المستبعد أن يكون الملك الإنجليزي قد وعد البابا بقيادة حملة صليبية في حالة قيامه بتهدئة الأوضاع بين إنجلترا وأسكتلندا، ومساعدته لفرض سيطرته على أسكتلندا[٦١]. في حين يشير باحث ثالث أن الدعم المقدم من جانب البابا كان يتم بشكل صارخ على أمل كسب عائد مادي، فقد كان البابا على استعداد لدعم الملك الإنجليزي إذا ضمن له الأخير انتظام دفع الضرائب البابوية[٦٢].

وكيفما كان الأمر، فقد رفض الملك الأسكتلندي روبرت بروس، المدعوم بكنيسته ورجال الدين بمملكته، كافة التدخلات البابوية في أسكتلندا؛ ولهذا السبب وبدافع من الغضب لازدراء سلطاتهما، قام الكاردينالان جوسيلين دي جان ولوكا فيسكي في الثامن والعشرين من شهر يونيو عام ١٣١٨م بإبلاغ البابا بفشل المهمة المكلفين بها، ورفض الملك الأسكتلندي ما جاء بالرسائل البابوية طالما لم يتم الاعتراف به ملكًا على الأسكتلنديين، وعليه قام البابا في الثامن من شهر سبتمبر من نفس العام بفرض عقوبة الحرمان الكنسي مرة أخرى ضد الملك روبرت بروس ومناصريه؛ لعدم احترام الهدنة التي أقرتها البابوية[٦٣]. وعقب ذلك غادر الكاردينالان إنجلترا إلى البلاط البابوي في أفينون، ووصلا إليها في الخامس من شهر نوفمبر عام ١٣١٨م[٦٤] .

ويتبين مما سبق، أنه بالرغم من قضاء السفارة البابوية أكثر من تسعة عشر شهرًا، منذ تكليف البابا لها في الخامس عشر من مارس عام ١٣١٧م حتى عودتها في الخامس من نوفمبر عام ١٣١٨م، في محاولات لإقناع الملك الأسكتلندي بقبول الهدنة مع الملك الإنجليزي، مستغلين كل الأسلحة البابوية، من إصدار أوامر لكبار رجال الدين الأسكتلنديين بالتعاون معها في نجاح المهمة المكلفة بها مع الملك الأسكتلندي، حتى فرض عقوبة الحرمان الكنسي على الملك الأسكتلندي، إلا أن كل محاولاتهم باءت بالفشل مع إصرار الجانب الأسكتلندي بكل طوائفه – رجال الدين والسياسة– بضرورة اعتراف البابا في

البداية بالملك روبرت بروس ملكًا لأسكتلندا حتى يتم التفاوض حول مطالبه.

وترى الباحثة أن البابوية خلال هذه الفترة كانت حريصة على عدم الاعتراف بملوك أسكتلندا، واعتبارهم تابعين لملوك إنجلترا فقط؛ لأن هذا الاعتراف يشتمل ضمنيًا على الاعتراف بأسكتلندا مملكة مستقلة عن إنجلترا، وهذا الاعتراف يتسبب في حدوث أضرار بالغة للبابوية ماليًّا وسياسيًّا ودينيًّا مع إنجلترا، التي تحرص البابوية على استمرار علاقات جيدة معها.

وقد حاول الملك الإنجليزي إدوارد الثاني من جديد استغلال توتر العلاقات بين الملك الأسكتلندي والبابوية؛ للتأكيد على الهيمنة الدينية لبلاده على الكنيسة الأسكتلندية، فتابع محاولاته الدبلوماسية من أجل عزل أسقف سان أندروز، وتعيين أحد رجال الدين التابعين له، ولكن البابا تمكن من تجنب ذلك الالتزام[٦٥]. وكان الأسكتلنديون على دراية تامة بأن البابا لن يتوقف على تحيزه للملك الإنجليزي؛ لذا خلال انعقاد البرلمان الأسكتلندي في الثالث من شهر ديسمبر عام ١٣١٨م في مدينة سكوني قام رجال الدين وكبار البارونات الأسكتلنديين بتجديد يمين الولاء للملك روبرت بروس، وتعهدوا بمساندته للحفاظ على حرية بلادهم ضد أية تدخلات خارجية سواء من البابوية أو إنجلترا[٦٦]. كما أكد البرلمان على حقوق واستقلال الكنيسة الأسكتلندية، وتعهد رجال الدين الأسكتلنديين بضرورة الامتناع عن إرسال أية أموال للبابوية[٦٧].

وفي الوقت الذي استمر فيه الأسكتلنديون خاصة رجال الدين في تقديم الدعم لملكهم للدفاع عن قضيتهم، استمرت البابوية أيضًا في سياستها الموالية لإنجلترا، ففي الخامس والعشرين من شهر أبريل عام ١٣١٩م قام البابا جون بتوجيه خطاب لكل من رئيس أساقفة يورك، وأسقف إيلي، وأسقف كارليل، وخلاله أعطاهم سلطات واسعة لرفع عقوبة الحرمان الكنسي عن كل اسكتلندي يقدم الولاء للملك الإنجليزي إدوارد الثاني[٦٨].

ولم يتوقف البابا جون الثاني والعشرون عن دعمه للملك الإنجليزي

على حساب المملكة الأسكتلندية؛ ففي بداية شهر يونيو عام ١٣١٩م كان الملك الإنجليزي إدوارد الثاني يُعِد العدة لتوجيه حملة ضخمة ضد المملكة الأسكتلندية(٦٩)، ولمعاونته في حملته ضد الأسكتلنديين أرسل البابا إلى رئيس أساقفة يورك يطلب منه إعطاء الملك إدوارد الثاني مبلغًا ضخمًا من أموال الحملات الصليبية؛ للإنفاق على حملته ضد أسكتلندا(٧٠). ولم تقتصر المساعدات المادية التي قدمها البابا فقط على أموال الحروب الصليبية، لكنه بعث أيضًا برسالة إلى رئيس أساقفة كانتربيري وأسقف لندن؛ يطالبهما فيها بِحَثِّ كافة رجال الدين الإنجليز على الدفع الفوري للملك إدوارد الثاني، بما قيمته ضريبة العُشر لعام كامل على كافة إقطاعيات الكنائس والأديرة(٧١).

وبالرغم من كل التدابير البابوية، وكافة المساعدات المعنوية والمادية لإنجلترا، فشل الملك الإنجليزي في تحقيق أية مكاسب عسكرية على الأسكتلنديين(٧٢). وعندما حاول الملك الأسكتلندي روبرت بروس الرد على تلك الحملة العسكرية قام البابا خلال شهر أكتوبر عام ١٣١٩م بتجديد عقوبة الحرمان الكنسي ضده؛ لقيامه بخرق الهدنة التي أقرتها البابوية، لكن في الرابع من شهر ديسمبر من نفس العام أرسل الملك الإنجليزي خطابًا إلى البابا يعلن فيه عن رغبته في عقد هدنة طويلة مع الأسكتلنديين، وقد تمت الهدنة لمدة عامين، بعدما وافق عليها الملك الأسكتلندي(٧٣) .

وترى الباحثة أن السبب وراء موافقة الملك الأسكتلندي على الهدنة هذه المرة، رغم رفضه التام لها طيلة الفترة السابقة، والتي ربطها بالاعتراف الإنجليزي والبابوي به ملكًا على البلاد، هو إدراكه بضرورة التوقف – ولو مؤقتًا – عن تحدي السلطة البابوية، والسعي لتحسين علاقة بلاده معها، قبل أن ينقلب الوضع ويحدث ما لا يحمد عقباه .

لكن لم يتحقق ما يصبو إليه الملك الأسكتلندي؛ فعلى الرغم من تحقق السلام المؤقت بين إنجلترا وأسكتلندا، ظلَّت الأمور على ذات الحال من العداء

بين الكرسي البابوي وملك أسكتلندا؛ واستمر البابا في محاولاته لإخضاعه، ففي الثامن من شهر يناير عام ١٣٢٠م قام باستدعاء كل من الملك الأسكتلندي والأساقفة الأسكتلنديين للمثول أمام المحكمة البابوية في أفينون في الأول من شهر مايو من نفس العام(٧٤)، لكن لم يمتثل أحد لأوامر البابا؛ لذلك صدرت الأوامر البابوية خلال نفس شهر يناير بتفويض رئيس أساقفة يورك، وأسقف كل من لندن وكارليل لإعلان عقوبة الحرمان الكنسي على روبرت بروس في الكنائس والأماكن العامة في أيام الآحاد طيلة العام(٧٥). كما أعلن البابا جون عقوبة الحرمان الكنسي على أساقفة كل من سان أندروز، ودانكيلد Dunkeld، ومورای؛ لعدم استجابتهم للمثول أمام المحكمة البابوية في أفينون(٧٦) .

وبذلك كان الملك الأسكتلندي روبرت بروس في موقف لا يحسد عليه، فعلى الرغم من رغبته الجادة في تسوية الخلافات مع البابوية، وإصلاح ذات البين، لكنه وجد أن الأمر يتوقف على الاعتراف بالهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، وتخليه عن لقبه كملك لأسكتلندا؛ لذلك أصبحت المسألة كليًّا تفوق طاقته، خاصة أن البابا أصر في رسائله الموجهة إليه على عدم الاعتراف بكونه ملك أسكتلندا؛ وعليه لم يُظهر روبرت بروس أية بادرة للخضوع للمطالب البابوية.

كيفما كان الأمر، لم يجد الملك الأسكتلندي روبرت بروس أمامه سوى عرض الأمر على كبار رجال المملكة من أساقفة وبارونات، فخلال البرلمان الأسكتلندي الذي انعقد في مدينة أربروث Arbroath في السادس من شهر أبريل عام ١٣٢٠م، تم الاتفاق على إرسال خطاب إلى البابا جون، يكون بمثابة التماس لطلب الدعم في التصدي للمحاولات الإنجليزية لفرض الهيمنة على بلادهم، وإقناع الملك الإنجليزي إدوارد الثاني لصنع سلام نهائي مع أسكتلندا(٧٧). وقد أورد عدد من المؤرخين القدامى والحديثين نص الخطاب الذي أرسله الأسكتلنديون إلى البابا جون؛ باعتباره وثيقة من أهم الوثائق التاريخية المرتبطة بتاريخ العلاقات البابوية– الأسكتلندية (٧٨).

وترى الباحثة أن البرلمان الأسكتلندي قد أصاب فيما توصل إليه من قرار؛ لأن مسألة الاستمرار في تعطيل القنوات الدبلوماسية مع البابوية لمدة طويلة لم تكن سياسة حكيمة لدولة مسيحية في ذلك العصر، خاصة أن الأمر يؤثر على علاقة المملكة الأسكتلندية الرسمية ببقية العالم المسيحي، ولعل إعلان أربروث كان محاولة دبلوماسية مع البلاط البابوي في مواجهة المحاولات الدبلوماسية المستمرة للملك الإنجليزي، خاصة أن المصادر التي تم الاطلاع عليها لم تسجل أية اتصالات رسمية بين البلاط البابوي وأسكتلندا منذ أوائل فترة البابا جون الثاني والعشرين.

وبناءً على ذلك، تم تكليف سفارة أسكتلندية برئاسة اثنين من كبار البارونات الأسكتلنديين، وهما إدوارد مامبويسون Edward Mambuisson وآدم من جوردون Adam de Gordon؛ لتوصيل الالتماس الأسكتلندي إلى البابا، وتعد هذه السفارة أول تواصل دبلوماسي بين المملكة الأسكتلندية والبلاط البابوي منذ وصول البابا جون للكرسي البابوي(٧٩). ووصلت السفارة إلى أفينون في شهر أغسطس عام ١٣٢٠م، وبمجرد وصول السفارة إلى البلاط البابوي قام مبعوثو أسكتلندا بعرض قضية بلادهم فأشاروا إلى المحاولات الإنجليزية المتكررة لتدمير بلادهم، ومحاولات الملوك الإنجليز لغزوها، وضمها إلى إنجلترا، مع ذكر تفاصيل الأعمال العدائية والخراب والتدمير الذي أنزله الإنجليز بالأماكن الدينية وبيوت عبادة الرب، بعدها أسهب مبعوثو أسكتلندا في ذكر إنجازات الملك روبرت بروس لصالح البلاد (٨٠).

ولم تفوت السفارة الأسكتلندية الفرصة لاستغلال القضية الصليبية لخدمة قضيتهم الوطنية، فقد ذكر مبعوثو أسكتلندا أن حروبهم مع الإنجليز عملت على خلق حالة من الدمار الشديد، وكانت سببًا للتخلي عن نصرة الأرض المقدسة، فعلى الدوام كان الأسكتلنديون وملكهم على استعداد للمشاركة في الحملات الصليبية لكن حروبهم المستمرة مع الإنجليز شكلت

عائقًا أمامهم، كما ذكّرت السفارة البابا بدوره في الحفاظ على التهدئة العامة في جميع أنحاء العالم المسيحي(٨١).

وقد ترك الالتماس الأسكتلندي انطباعًا قويًا وتأثيرًا واضحًا على البلاط البابوي، ونجح مبعوثو أسكتلندا إلى حد كبير في إقناع البابا بحق ملكهم وعدالة قضيتهم، حيث توقف كافة أنواع الهجوم الموجهة للإسكتلنديين من جانب البابوية، وبدأ البابا في تقديم مقترحات من أجل السلام بين إنجلترا وأسكتلندا، ففي العاشر من شهر أغسطس عام ١٣٢٠م تم توجيه خطاب بابوي إلى الملك الإنجليزي إدوارد الثاني، وخلاله حثه البابا على إعادة التفكير بما إذا كان من الأفضل الوصول إلى تسوية ما مع حاكم المملكة الأسكتلندية(٨٢) .

ورغم التغير الذي طرأ على السياسة البابوية تجاه أسكتلندا، ظل البابا جون حريصًا على عدم إثارة الملك الإنجليزي؛ ففي خطابه المرسل إلى إنجلترا أخبر الملك الإنجليزي بأن السفارة الأسكتلندية كانت تسعى لإلغاء عقوبات الحرمان الكنسي التي صدرت ضد أسكتلندا وملكها، وأنه رفض الأمر، ووعد بتعليق كافة القضايا المتعلقة بالمملكة الأسكتلندية حتى الأول من شهر أبريل من العام المقبل، وكانت تلك الخطوة بمثابة تأجيل شكلي للصعوبات والنزاعات بين البابوية وأسكتلندا(٨٣). وبناءً على الخطاب البابوي قام الملك إدوارد الثاني في الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٣٢٠م بتعيين رئيس أساقفة يورك وآخرين لبدء التفاوض مع الأسكتلنديين من أجل سلام دائم(٨٤). وفي السابع عشر من شهر نوفمبر من نفس العام تم تفويض كل من دافيد David إيرل أثول Athol و أندرو من هرقلا Andrew de Harcla؛ لاستكمال عملية التفاوض من أجل التوصل إلى علاقات سلمية مع الأسكتلنديين الذين أصدر البابا جون ضدهم عقوبة الحرمان الكنسي(٨٥). وفي الحادي عشر من شهر ديسمبر عام ١٣٢٠م قام بتفويض رئيس أساقفة يورك للعفو عن الغرامات التي صدرت ضد بعض الأسكتلنديين(٨٦).

ولم تحقق المساعي الرامية إلى إبرام اتفاق نهائي أهدافها؛ بسبب إصرار الجانب الإنجليزي على ضرورة اعتراف الأسكتلنديين بالهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، لكن نظرًا للصعوبات والقلاقل المندلعة في إنجلترا الناتجة عن تمرد إيرل لانكستر من ناحية، ومن ناحية أخرى الهجمات الأسكتلندية المستمرة على منطقة الحدود الإنجليزية، لم يجد الملك إدوارد الثاني أمامه سوى الإذعان للمطالب البابوية الرامية لعقد السلام، فقام بتفويض اثنا عشر مفوضًا في التاسع عشر من شهر يناير عام ١٣٢١م؛ للسعي لإقرار حالة سلام دائمة مع الأسكتلنديين(٨٧). وكان البابا حريصًا على أن تتم عملية التفاوض تحت إشراف البابوية؛ لذا قام خلال شهر مارس من نفس العام بتفويض كل من ريجاند Rigand أسقف وينشيستر Winchester ووليم من ليجدونس William de Legdunce أسقف فيينا؛ وعدد من رجال الدين لحضور عملية التفاوض بوصفهم ممثلين للبابوية، لكن المفاوضات فشلت مرة ثانية؛ بسبب تمسك كل طرف بمطالبه التي لا تتوافق مع رغبات الطرف الآخر(٨٨) .

وطيلة صيف عام ١٣٢١م كان الملك الإنجليزي إدوارد الثاني يعاني كثيرًا من القلاقل والصعوبات تارة من الاضطرابات الداخلية، وتارة أخرى من صراعه مع بارونات مقاطعة ويلز؛ لذلك أرسل إلى البابا جون في الخامس والعشرين من شهر أغسطس من نفس العام يوضح له الأوضاع التي منعته عن إرسال مبعوثين إلى البلاط البابوي خلال الموعد الذي سبق وحدده البابا للتفاوض مع الأسكتلنديين(٨٩). وفي رسالة أخرى حملت نفس التاريخ بعثها الملك الإنجليزي إلي الكرادلة في البلاط البابوي للإبلاغ عن الأعمال العدائية المعتادة للإسكتلنديين، وطلب منهم إقناع البابا بضرورة التعامل بصرامة مع روبرت بروس وأتباعه(٩٠).

وفي الثاني والعشرين من شهر مارس عام ١٣٢٢م أرسل الملك الإنجليزي رسالة أخرى إلى البابا جون، وتضمنت الرسالة بنودًا تؤكد على أن

أوضاع بلاده المضطربة كانت قد أجبرته على الموافقة على تهدئة الأوضاع مع الجانب الأسكتلندي، لكنه أصبح عازمًا على إنهاء الصراع بقوة السلاح[٩١]؛ وبناءً على ذلك، بدأت التجهيزات الإنجليزية في شهر يونيو عام ١٣٢٢م للقيام بحملة ضخمة ضد المملكة الأسكتلندية، لكن باءت تلك المحاولة بالفشل، ونجح الأسكتلنديون في الرابع والعشرين من شهر يوليو من نفس العام في اختراق صفوف الدفاعات الإنجليزية الشمالية، والعودة لبلادهم بغنائم هائلة[٩٢].

وعقب تلك الهزيمة ظهرت رغبة إنجليزية لإحلال السلام، وطالما أن الجانب الإنجليزي هو الساعي للسلام مع أسكتلندا، لم يجد البابا عائقًا في السعي لإقرار السلام بين الطرفين، ففي الثالث من شهر يناير عام ١٣٢٣م تم توقيع هدنة بين إنجلترا وأسكتلندا [٩٣]. وخلال الثلاثين من شهر مايو من نفس العام قام الطرفان بتوقيع اتفاقية سلام لمدة ثلاثة عشر عامًا، بحيث يعود الوضع على الحدود بين البلدين كما كان قبل الثاني عشر من شهر يونيو من نفس العام؛ مما يهدف إلى الاعتراف بالوجود الأسكتلندي في مقاطعة تينيدال Tynedale، وكان أهم بنود الاتفاقية هو تعهد إدوارد الثاني بعدم عرقلة المساعي الأسكتلندية لإلغاء قرارات الحرمان الكنسي الصادرة من البابوية ضد ملك وأساقفة أسكتلندا [٩٤]. وفي السابع من يونيو عام ١٣٢٣م صدق الملك روبرت بروس على الهدنة، كما أصدر مرسومًا رسميًّا يعلن فيه نيابة عن شعب مملكة أسكتلندا قبول السلام مع الجانب الإنجليزي [٩٥].

وكان الهدف الرئيس للملك روبرت بروس من الموافقة على عقد الهدنة مع إنجلترا رغبته في التصالح مع البابوية؛ لذلك عقب توقيع الهدنة مع إنجلترا في شهر يونيو عام ١٣٢٣م وجد الفرصة ملائمة لتحسين علاقات بلاده بالبابوية، فتم إيفاد سفارة إسكتلندية برئاسة توماس راندولف Thomas Randolph إيرل موراي إلي البلاط البابوي في مدينة أفينون في نهاية عام ١٣٢٤م؛ لتسوية الأمور بين أسكتلندا والبابوية[٩٦]. وبمجرد وصول راندولف

للبلاط البابوي أعلن للبابا جون عن رغبته في الذهاب إلى الأرض المقدسة، وطلب منه أن يبارك رحلته، لكن البابا رفض الأمر؛ لكون راندولف أحد القادة الأسكتلنديين الصادر ضدهم عقوبة الحرمان الكنسي؛ مما جعل راندولف يعرض ما حدث من اعتداءات مستمرة من الملك الإنجليزي على الأسكتلنديين، الذين طالما رغبوا في وضع نهاية لهذه الاعتداءات، ليس فقط لصالح الأطراف المتصارعة، ولكن أيضًا لصالح المسيحية عمومًا والأرض المقدسة(٩٧).

واستغل راندولف تواجده في البلاط البابوي وأعرب عن رغبة الملك الأسكتلندي روبرت بروس الصادقة في الانضمام إلى الملك الفرنسي شارل الرابع Charles IV (١٣٢٢–١٣٢٨م) في حملته المرتقبة نحو بيت المقدس، حتى إن لم يستطع الملك الفرنسي تحقيق غايته، فيمكن قيام راندولف أو الملك الأسكتلندي بقيادة حملة اسكتلندية إلى بيت المقدس، لكن البابا أكد أن مسألة الحملة الأسكتلندية لن تكون حقيقية طالما استمر الملك الأسكتلندي على خلاف مع ملك إنجلترا، وبدون إبرام تسوية مع البابوية(٩٨). حيث تستمر قضية دفاع الأسكتلنديين عن مملكتهم ضد التدخلات الإنجليزية بالرغم من توقيع اتفاقية سلام بين الجارتين؛ لذلك يستمر الخلاف بين الملك الأسكتلندي روبرت بروس والملك الإنجليزي إدوارد الثاني المدعوم من البابوية.

وقد التمس السفير الأسكتلندي من البابا أن يوجه خطابًا إلى الملك روبرت بروس يخاطبه فيها بلقبه الملكي، وأعلن البابا قبول الالتماس، واستعداده لإيجاد حالة من التفاهم بين أسكتلندا وإنجلترا، وعليه أرسل البابا خطابًا إلى الملك الإنجليزي في الأول من شهر يناير عام ١٣٢٤م يخبره بما حدث مع المبعوث الأسكتلندي، وأنه وافق على مخاطبة روبرت بروس مستقبلاً بلقب الملك، وحاول البابا جاهدًا أن يوضح للملك الإنجليزي أن كل ما حدث لا يمثل ضررًا لإنجلترا، ورغم ذلك لم يلق الوضع استحسانًا من الملك الإنجليزي الذي احتج على استقبال البابا للسفارة الأسكتلندية، خاصة عندما قام البابا

بالثناء على توماس راندولف حيث وصفه بالدقة الشديدة، وأنه جذب اهتمام الحضور في البلاط البابوي(٩٩).

وبناءً عليه، أرسل الملك الإنجليزي إدوارد الثاني إلى البابا جون يخبره أنه باعترافه بروبرت بروس ملكًا على أسكتلندا قد قام بعمل مشين للكنيسةِ، كما ألحق الضرر بادِّعاءاتِ التاجِ الإنجليزيِ بالهيمنة على أسكتلندا؛ لأن الأسكتلنديين سيعتبرون الأمر إقرارًا بحقهم في كون بلادهم مملكة مستقلة، وطلب الملك الإنجليزي من البابا الامتناع عن إضفاء لقب الملك على روبرت بروس في المراسلات المستقبلية (١٠٠).

كان الموقف الإنجليزي المتعنت السبب في فشل المفاوضات التي تمت بين الطرفين في الثالث من شهر نوفمبر عام ١٣٢٤م، فقد كتب إلى البابا موضحًا أنه لن يوافق على المصالحة- المرغوبة من البابوية- إذا تم الاعتراف بأسكتلندا بوصفها مملكة مستقلة بعيدة عن الهيمنة الإنجليزية، وهو ما تمسك به الأسكتلنديون بصرامة (١٠١). وسرعان ما تأثر البابا بموقف الملك الإنجليزي، وتغير موقفه من القضية الأسكتلندية؛ ففي أواخر عام ١٣٢٤م طلب الأسكتلنديون من البابا رفع عقوبة الحرمان الكنسي الصادرة ضد الملك الأسكتلندي روبرت بروس والأساقفة الأسكتلنديين، لكن البابا رفض رفع العقوبة إلا إذا اعترف الأسكتلنديون بالولاء للملك الإنجليزي إدوارد الثاني، وهو ما رفضه الأسكتلنديون بشكل تام (١٠٢).

ونظرًا لفشل المحاولات الأسكتلندية في توطيد العلاقات مع البابوية، وعدم نجاح الأسكتلنديين في الحصول على أية مكاسب من قبل البابا جون، الداعم للجانب الإنجليزي، لم يكن أمام الأسكتلنديين سوى تحويل أنظارهم إلى حليفهم القديم لطلب العون، ففي بداية عام ١٣٢٥م أرسل الملك الأسكتلندي روبرت بروس سفارة إلى الملك الفرنسي شارل الرابع؛ بهدف تجديد التحالف الفرنسي- الأسكتلندي، وتعهد الملك الفرنسي ببذل كافة الجهود الممكنة لإقناع

البابا جون برفع عقوبة الحرمان الكنسي الصادرة ضد الملك الأسكتلندي وأتباعه[١٠٣]. وكان تدخل الملك الفرنسي للوساطة بين أسكتلندا والبابا وإقناعه برفع العقوبات الكنسية المفروضة على المملكة الأسكتلندية أمرًا صعبًا طالما أن حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا لم تضع أوزارها، كذلك لم يكن من الممكن حصول أسكتلندا على العفو البابوي إلا بعد إقامة السلام بينها وبين إنجلترا[١٠٤].

وعلى الرغم من الموقف الإنجليزي الرافض لمبدأ المصالحة البابوية مع أسكتلندا، كان الملك الإنجليزي إدوارد الثاني حريصًا على استمرار الهدنة مع الأسكتلنديين، خاصة بعد الهزائم المتتالية التي تعرض لها الإنجليز في فرنسا أثناء حرب المائة عام، وعليه لم يكن أمام الملك الإنجليزي سوى السعي للتواصل مع الملك الأسكتلندي روبرت بروس من أجل السلام النهائي، إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل؛ بسبب رفض الأسكتلنديين التخلي عن المواقع الإنجليزية التي سبق وتم الاستيلاء عليها، وعليه أحال الملك الإنجليزي الأمر إلى قرار البابا[١٠٥].

أما على الجانب الأسكتلندي فقد حاول الملك روبرت بروس استغلال فرصة توتر العلاقات بين فرنسا وإنجلترا، وانشغال الملك الإنجليزي بالجبهة الفرنسية؛ للقيام بمحاولة جديدة لتسوية خلافاته مع البابوية، فأرسل في شهر مايو عام ١٣٢٥م سفارة إسكتلندية إلى البلاط البابوي؛ لحث البابا على إلغاء عقوبة الحرمان الكنسي المفروضة على الملك الأسكتلندي، لكن هذه المحاولة باءت أيضًا بالفشل؛ بسبب التدخلات الإنجليزية[١٠٦]. فقد كتب الملك إدوارد الثاني إلى البابا في الثالث والعشرين من شهر سبتمبر من نفس العام، وأبلغه أنه سوف يرسل سفراء لحماية مصالح بلاده، كما طلب من البابا عدم إلغاء الأحكام البابوية الصادرة بالحرمان الكنسي ضد الملك الأسكتلندي روبرت بروس ومناصريه قبل التوصل إلى اتفاق نهائي مع إنجلترا، وقد وافق البابا

على الأمر؛ مما دفع الملك الإنجليزي لإرسال خطاب في الثامن عشر من شهر أكتوبر عام ١٣٢٥م أعرب فيه عن شكره للبابا [١٠٧].

وهكذا استأنف البابا جون إجراءاته الصارمة ضد المملكة الأسكتلندية بما يتفق مع رغبات الملك الإنجليزي الذي سعى سعيًا حثيثًا للحفاظ على بقاء الحرب النفسية ضد الملك الأسكتلندي، لا سيما بعدما فشل في تحقيق أية انتصارات عسكرية على الأسكتلنديين.

وأدى التعنت البابوي ضد الملك الأسكتلندي إلى اتحاد القادة الأسكتلنديين مع ملكهم لمواجهة هذا الموقف البابوي، ففي شهر يوليو١٣٢٦م تم عقد برلمان في مدينة كامبوثكينث Cambuskenneth، وتعهد البارونات ورجال الدين في أسكتلندا بمواجهة المحاولات الإنجليزية لفرض الهيمنة على بلادهم، وتقديم المساعدات المالية للملك روبرت بروس لمواصلة حروبه ضد الإنجليز، كرد فعل للمساعدات المادية التي قدمتها البابوية للملك الإنجليزي[١٠٨].

وقد استمر الملك الإنجليزي إدوارد الثاني خلال فترة حكمه المتبقية في سياسته القائمة على تحريض البابوية ضد أسكتلندا وروبرت بروس، والسعي بكل ما أوتي من قوة للضغط على البابا لفرض عقوبة الحرمان الكنسي ضد الملك الأسكتلندي روبرت بروس ورعاياه، والحيلولة دون عودة العلاقات الودية بين أسكتلندا والبابوية، وهو ما تمكن من تحقيقه بشكل واضح.

على أية حال، كان خلع الملك الإنجليزي إدوارد الثاني من الحكم في يناير عام ١٣٢٧م، والظروف التي أحاطت بنهاية عهده لها تأثير واضح على العلاقات مع أسكتلندا، فقد حاول الملك الأسكتلندي روبرت بروس الاستفادة من الفرصة التي أتاحتها الاضطرابات الداخلية في إنجلترا للوصول إلى حل نهائي فيما يتعلق بقضية الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، فأرسل إلى الملك الإنجليزي إدوارد الثالث Edward III (١٣٢٧-١٣٧٧م) خطابًا يخبره فيه بعزمه على

غزو إنجلترا بقوة هائلة[١٠٩]. وهو ما جعل الملك الإنجليزي يتوجه في بداية شهر فبراير عام ١٣٢٧م نحو الجنوب الأسكتلندي على رأس جيش ضخم، لكنه لم يتمكن من تحقيق أية انتصارات، وتعرض للهزيمة على يد القوات الأسكتلندية التي تابعت نهبها للمقاطعات الشمالية لإنجلترا[١١٠]. ولم يكن أمام الملك إدوارد الثالث عقب هذه الهزيمة سوى السعي لعقد اتفاقية سلام مع الأسكتلنديين؛ لذلك أرسل إلى أسكتلندا في الخامس عشر من شهر فبراير عام ١٣٢٧م سفارة برئاسة هنري بيرسي Henry de Percy، لبدء المفاوضات مع الملك الأسكتلندي روبرت بروس، لكن رغم عقد المفاوضات بين الجانبين لم يتم التوصل لاتفاق سلام بينهما [١١١].

وترى الباحثة أن أهم الأسباب التي دفعت الملك الإنجليزي إدوارد الثالث لعقد اتفاقية سلام مع الأسكتلنديين هي أحداث "حرب المائة عام" بين إنجلترا وفرنسا، وهو الحدث الرئيس في أوربا خلال تلك الفترة، وأحد العوامل المؤثرة في العلاقات بين إنجلترا وأسكتلندا؛ لكون إنجلترا طرفًا مشتركًا في هذه النزاعات؛ ونظرًا لأن أوضاع تلك الحرب لم تكن– حينئذٍ– في صالح إنجلترا؛ حيث تعرضت القوات الإنجليزية لمزيد من الهزائم على يد الجيوش الفرنسية، وعليه كانت إنجلترا في حاجة ماسة لعقد هدنة مع الجانب الأسكتلندي، خاصة مع الأوضاع الداخلية غير المستقرة التي صاحبت بداية عهد الملك إدوارد الثالث.

وفي الرابع من شهر مارس عام ١٣٢٨م أرسل الملك الإنجليزي سفارة أخرى إلى أسكتلندا لوضع قواعد للسلام بين البلدين، وقد نجح الطرفان في التوصل إلى اتفاقية سلام عُقِدت في مدينة أدنبرة Edinburgh في السابع عشر من شهر مارس من نفس العام بموجبها تخلى الملك الإنجليزي إدوارد الثالث عن كافة المزاعم الإنجليزية بالهيمنة على أسكتلندا مقابل مبلغ ضخم يتم دفعه على ثلاثة أعوام[١١٢]. وفي التاسع من شهر أغسطس عام ١٣٢٨م

أرسل الملك إدوارد الثالث رسالة إلى الملك الأسكتلندي روبرت بروس؛ للتأكيد على العلاقات الودية بين البلدين، وخلال هذه الرسالة تغيرت بشكل كلي صيغة المخاطبة التي سادت بين الطرفين لفترة طويلة؛ حيث خاطبه خلالها بـ" الأمير الرائع والصديق العزيز روبرت بروس ملك الأسكتلنديين" [١١٣].

وكان من أهم النتائج المترتبة على عقد اتفاقية السلام بين إنجلترا وأسكتلندا، السعي الأسكتلندي لتحسين العلاقات بين البابوية وأسكتلندا، فقد كان الملك الأسكتلندي حريصًا على أن تشتمل الاتفاقية على بند يزيل الخلافات القائمة بين بلاده والبابوية؛ لذلك بموجب أحد بنود الاتفاقية وافق الملك الإنجليزي إدوارد الثالث على التدخل لدى البابا؛ لطلب العفو البابوي عن الملك الأسكتلندي، فأرسل إليه خطابًا بهذا الشأن في شهر أكتوبر عام ١٣٢٨م [١١٤]

وقد وعد البابا برفع عقوبة الحرمان الكنسي عن الملك روبرت بروس ومناصريه، علاوة على ذلك أرسل البابا خطابًا إلى الملك روبرت في الخامس عشر من شهر أكتوبر ١٣٢٨م، وقد تغيرت فيه لهجة البابوية، فأصبحت أكثر ودًا مع الملك الأسكتلندي، وأوضح الخطاب موافقة البابا على النظر في عقوبة الحرمان الكنسي الصادرة ضد الأسكتلنديين[١١٥] . ولم يفوت الملك الأسكتلندي الفرصة، فأرسل في بداية عام ١٣٢٩م سفارة إلى البلاط البابوي في أفينون برئاسة أسقف بيريشن Brechin، وقد حملت السفارة معها مبلغًا قدره أربعة آلاف مارك؛ لتسهيل عملية المصالحة مع البابا [١١٦]. ولم يقدر للملك الأسكتلندي روبرت بروس أن يجنى ثمار جهوده، فقد مات في السابع من شهر يونيو عام ١٣٢٩م بعدما نجح في جعل أسكتلندا بلدًا مستقلاً بعيدًا عن الهيمنة الإنجليزية [١١٧]. وبعد بضعة أيام من موته، وبالتحديد في الثالث عشر من شهر يونيو من عام ١٣٢٩م أصدر البابا جون مرسومًا ألغى بموجبه عقوبة الحرمان الكنسي الصادرة ضد الأسكتلنديين، بما فيهم الملك الراحل روبرت بروس، فضلاً عن الوعد بمباركة مراسيم التتويج الملكي لملوك أسكتلندا في

المستقبل[١١٨]. وبإلغاء عقوبة الحرمان الكنسي الصادرة ضد الملك روبرت بروس والأساقفة الأسكتلنديين عادت العلاقات الودية بين البابوية والمملكة الأسكتلندية، وزالت الخلافات التي استمرت بينهما ما يقرب من ربع قرن من الزمان.

خاتمة:

بعد استعراض دور البابوية في إدارة أحداث قضية محاولات فرض الهيمنة الإنجليزية على الأراضي الأسكتلندية خلال فترة البحث، والتي تولَّى خلالها كل من البابا كلمنت الخامس والبابا جون الثاني والعشرون المنصب البابوي في مدينة أفينون الفرنسية، يتضح أن هذه الفترة تميزت بتغيرات كبيرة في موقف البابوية تجاه العديد من القضايا وقتئذٍ، وكان أهم هذه القضايا التي حاولت إدارتها والتدخل فيها بشكل قوي هي قضية الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا، حيث اختلف موقف البابوية منها خلال فترة البحث عما كان قبلها.

فقُبَيل فترة البحث، عارضت البابوية تبعية مملكة أسكتلندا للتاج الإنجليزي، واعترفت بتبعيتها لها مباشرة باعتبارها مملكة قائمة بذاتها، وطلبت من الملك الإنجليزي أن يسحب جميع موظفيه والحاميات الإنجليزية من الأراضي الأسكتلندية؛ لعدم وجود أية حقوق للإنجليز في أسكتلندا. وخلال فترة البحث تغير موقف البابوية من القضية كليةً، وتخلى البلاط البابوي عن أسكتلندا الحليفة، وانحاز إلى الجانب الإنجليزي ودعم ادعاءاته في حقه في تبعية الشعب الأسكتلندي للتاج الإنجليزي.

وقد اتسم هذا الصراع بين محاولات الإنجليز لفرض السيطرة على الأراضي الأسكتلندية والدفاع عن الوجود والبقاء من الجانب الأسكتلندي كمملكة مستقلة، ببعض السمات التي قد يندر تكرارها في الصراعات الطويلة بين الجارتين، حيث ثبت التفوق العسكري للقوات الأسكتلندية على القوات الإنجليزية، في كل المعارك التي دارت بينهما خلال الفترة محل البحث ، فلم

يتمكن الإنجليز من فرض سيطرتهم على الأراضي الأسكتلندية بقوة السلاح؛ مما جعلهم يتوجهون إلى البابوية؛ لتحقيق هذا الهدف بطرق غير عسكرية، خاصة مع تغير موقف البابوية تجاه هذه القضية وانحيازها لهم.

وقد جاء تدخل البابوية في قضية الهيمنة الإنجليزية على أسكتلندا بناءً على طلب الجانب الإنجليزي؛ فبعد كل هزيمة للقوات الإنجليزية على يد القوات الأسكتلندية، يضطر الجانب الإنجليزي إلى اللجوء للبابوية لمحاولة الضغط على الجانب الأسكتلندي؛ بغرض تحقيق أهدافه السياسية التي لم يستطع تحقيقها في ميادين القتال، ولو كان في إمكان القوات الإنجليزية حسم القضية عسكريًّا لم تكن لتلجأ إلى إقحام البابوية في القضية.

اعتمدت سياسة البابوية خلال هذه الفترة على سياسة الكيل بمكيالين بين طرفي القضية؛ وعدم وضع الطرفين على نفس القدر والأهمية، والمعيار في ذلك هو مدى تحقيق الطرف لأهدافها ومصالحها، الأول خاص بالطرف الإنجليزي، قائم على تعزيز وتقوية العلاقات معه، من خلال تبادل العديد من السفارات الخاصة بالقضية الأسكتلندية خلال هذه الفترة، حيث كانت إنجلترا تغدق على البابوية الأموال الكثيرة، كما كانت إنجلترا تمثل قوة كبيرة لم ترغب البابوية في الاصطدام معها، فكانت حليفًا قويًّا ومربحًا لا يتوجب معاداته أو تجاهله، والمعيار الثاني خاص بالطرف الأسكتلندي، وقائم على قطع وإضعاف العلاقات معه، من خلال قلة استقبال البابا للسفارات الأسكتلندية، وصياغة نصوص الخطابات البابوية الموجهة لأسكتلندا بطريقة لا تليق بملكها، حيث كانت أسكتلندا شحيحة في المساهمة في تمويل خزائن البابوية. وكذلك في استعدادها للمساهمة في الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي.

كان تدخل البابوية لحل الصراع بين المملكتين لإعطاء الفرصة لمشاركة القوات الإنجليزية في النشاط الصليبي ضد الشرق الإسلامي؛ مما جعل البابوية تظهر اهتمامًا ضعيفًا للقضية الأسكتلندية فحاولت فرض هدنة

بين الطرفين دون حل قاطع وحاسم للقضية؛ مما أعطى الفرصة لنجاح الملك الإنجليزي في تثبيط جهود الأسكتلنديين الدبلوماسية في البلاط البابوي من أجل إعادة العلاقات الودية بين البابوية وأسكتلندا، والتقليل من أية نجاحات قد يحرزها السفراء الأسكتلنديون في قضية بلادهم.

ظهر العديد من المؤشرات التي أثبتت أن البابا جون كان ممانعًا للقيام بأية ردود أفعال قد تتسبب في غضب التاج الإنجليزي فيما يتعلق بالقضية الأسكتلندية؛ وكان لهذا الانحياز العديد من المظاهر والنتائج، و تتمثل مظاهر الانحياز فيما يلي :

- اعتراف البابوية بأن الملك الإنجليزي هو السيد الأعلى للإسكتلنديين، والتعامل مع الكنيسة الأسكتلندية والإنجليزية ورجال الدين الإنجليز والأسكتلنديين ككيان واحد، ثم إصدار العديد من قرارات الحرمان الكنسي ضد روبرت بروس ورجال الدين الذين قاموا بتتويجه ملكًا لأسكتلندا، وإصدار الأوامر للملك الإنجليزي بالقبض عليهم.
- سعت البابوية من حين لآخر لمعرفة رأي الجانب الإنجليزي في طبيعة تعاملاتها مع الأسكتلنديين، فعندما تم إرسال السفارة البابوية برئاسة الكاردينالين جوسيلين دي جان ولوكا فيسكي في عام ١٣١٧م؛ لعقد الهدنة بين البلدين، وصلت السفارة أولاً إلى إنجلترا؛ لاستطلاع الرأي الإنجليزي بهذا الشأن، ومن ثم تبني نفس وجهة النظر ومحاولة فرضها على الجانب الأسكتلندي.
- عندما قررت البابوية مخاطبة روبرت بروس في الرسائل الرسمية بصفته ملك أسكتلندا، تم مخاطبة الملك الإنجليزي لتوضيح موقف البابوية لعدم إساءة الفهم في ذلك، وأن هذا لا يعد اعترافًا أو دفاعًا عن حق روبرت بروس في كونه ملكًا فعليًّا لأسكتلندا.
- عندما استقبل البلاط البابوي السفارة الأسكتلندية برئاسة توماس راندولف

إيرل موراي في عام ١٣٢٣م، تم إرسال سفارة إلى الملك الإنجليزي لإخباره بعدم الاستجابة أو دعم الطلبات الأسكتلندية التي قد تسبب أضرارًا لإنجلترا فيما يخص القضية، حيث اشترط البابا على أسكتلندا إذا ما كان لديها الرغبة في المشاركة في الحملة الصليبية الفرنسية المزمع قيامها وقتئذٍ، أو حتى قيادة الملك الأسكتلندي الحملة بنفسه لنصرة الأرض المقدسة، أن يتم عقد السلام مع الجانب الإنجليزي .

- لم يستطع البابا أن يخاطب روبرت بروس بصفته ملكًا إسكتلنديًّا، أو رفع عقوبة الحرمان الكنسي، إلا بعد التوصل لاتفاقية سلام بين الإنجليز والأسكتلنديين، وموافقة التاج الإنجليزي على السماح للطرف الأسكتلندي بتقديم الالتماسات إلى البلاط البابوي.

أما أهم النتائج المترتبة على الانحياز البابوي للجانب الإنجليزي ضد الجانب الأسكتلندي فيما يخص الصراع بينهما خلال فترة الدراسة فتتمثل فيما يلي :

- نتيجة فشل الأسكتلنديين في الحصول على تأييد ودعم من البلاط البابوي بعدم تبعية أسكتلندا للتاج الإنجليزي، والاعتراف بشرعية الملك روبرت بروس، اضطر الجانب الأسكتلندي إلى الاتجاه نحو الملك الفرنسي وإشراكه في المفاوضات التي تمت مع الإنجليز، وهي القوة التي وجد الأسكتلنديون أنه من الأفضل اللجوء إليها بدلاً من اعتمادهم على الرئيس الأعلى للكنيسة.
- عدم قدرة البابوية على فرض سيطرتها على رجال الدين الأسكتلنديين، وإخضاعهم للقرارات الصادرة من البلاط البابوي، وخروجهم عن طاعة البابا وتحديهم الصريح له، فقاموا بتتويج روبرت بروس ملكًا لأسكتلندا، ولم تتمكن البابوية من حشد الدعم حتى من جانب رجال الكنيسة الأسكتلندية، الذين اجتمعوا حول ملكهم لدعمه في صراعه ضد الإنجليز للحفاظ على حرية

بلادهم، وقاموا بحشد الشعب الأسكتلندي ضد إنجلترا.

بعد توقيع اتفاقية السلام بين الجارتين عادت العلاقات إلى طبيعتها الودية والمستقرة بين البلاط البابوي والمملكة الأسكتلندية، وانطوت صفحة مهمة من تاريخ النضال الأسكتلندي ضد المحاولات الإنجليزية لفرض السيادة والهيمنة على أسكتلندا، تلك المحاولات التي لاقت التأييد الكامل من البابوية، وتسببت في حدوث أزمات دائمة في العلاقات الأسكتلندية مع البابوية، لا سيما بعدما أصرت البابوية على استخدام كافة أسلحتها الدينية التي يخشاها الحكام العلمانيون، من حرمان ولعنة من الكنيسة ضد أسكتلندا وملكها، وقد واجهها الأسكتلنديون بالتحدي والمثابرةِ العنيدةِ، فلم يوجد شعب في أوربا تعامل بعصيان وعدم تقدير مع المراسيم البابوية مثلما فعل الأسكتلنديون تحت قيادة الملك روبرت بروس الذي يعد من أهم الملوك الأسكتلنديين على مر التاريخ.

حواشي البحث

(1) Stanford, W., The Papacy and the Scottish War of Independence, in The CatholicHistorical Review, Vol. 31, No. 3, Oct., 1945, pp. 291-301.

لمزيد من التفاصيل عن البابا بونيفاس الثامن. راجع:

A Chronicle of The Popes from St. Peter to Pius X, ed., Mckilliam, A., London, 1912, pp. 341-346.

(٢) قام البابا كلمنت الخامس بنقل مقر الكرسي البابوي من روما إلى أفينون لتبدأ الفترة التي عرفت بالأسر البابلي Babylonian Captivity، حيث استمرت تبعية البابوية للملكية الفرنسية لمدة سبعين عامًا. للمزيد من التفاصيل عن البابا كلمنت الخامس. راجع:

Capgrave, J., The Chronicle of England, ed., by Hingeston, F., London, 1858, p.173. CF also: Mollat, G., The Popes at Avignon 1305-1378, New York, 1965, pp. 3-8; Edward, D., Encyclopedia of the Medieval World, New York, 2005, pp. 181-182.

(٣) وللمزيد من التفاصيل حول البابا جون الثاني والعشرين. راجع :

Mollat, The Popes at Avignon, pp. 9- 25; Edward, Encyclopedia of the Medieval World, pp. 407-408.

(4) Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, Annales Londonienses and Annales Paulini, Vol., I, ed., by Stubbs, W., London, 1965, in R. S., pp. 108-112; The Book of Pluscarden, in The Historians of Scotland, Vol. X, ed. by Skene, J., Edinburgh, 1880, pp.140-166; A Chronicle of The Popes, p.337. CF also: Stanford, The Papacy and the Scottish War, pp. 291-298; Tosti, D., History of Pope Boniface VIII and his time, with notes and documentary evidence, New York, 1911, pp. 235-242.

(5) A Chronicle of The Popes, p.337. CF also: MacEwen, A., A History of the Church in Scotland: in 2 vols. vol. I, 397-1546, London, 1915, pp. 257-258.

(6) Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, pp. 143-144; A Chronicle ofThe Popes, pp. 342-345; CF also: Tout, T., Edward the First, London, 1896, p.222.

(7) A Chronicle of The Popes, p.345. CF also: Stanford, The Papacy and the Scottish War, p.291.

(8) Matthew of Westminster, Flowers of History, edited by Yonge, C., London, 1853,II, p.584 ;The Book of Pluscarden, pp. 176-177; Chronicles of the Picts, Chronicles of the Scots, and other early Memorials of Scottish History, ed., by Skene, W., Edinburgh, 1867, p.389. CF also: Robieson, W., The Growth of Parliament and the War

with Scotland 1216-1307, London, 1914, p.119; John, CH., Robert Bruce's rebellion in 1306, in The E.H.R., vol. 33, no. 131, July 1918, pp. 366-367.

(٩) لمزيد من التفاصيل حول قتل كومين إيرل بوكان على يد روبرت بروس. راجع:

A chronicle of England, B.C. 55- A.D. 1485, written and illustrated by Doyle, J., London, 1864, p.276; Annals of Scotland from the accession of Malcolm III in the year MLVII to the accession of the House of Stewart in the year MCCCLXXI, ed., by Hailes, D., Edinburgh, 1819, 3 Vols., Vol. I, pp. 354-357. CF also: Grant, A., The Death of John Comyn: What Was Going On? In The S.H.R., Volume LXXXVI, No. 222, October 2007, pp. 176–224; Smallwood, T., An unpublished early account of Bruce's murder of Comyn, in The S.H.R., 54, 1975, pp. 1-10.

سكوني : من أهم المدن الأسكتلندية وتقع في شمال البلاد جنوب شرق مقاطعة بيرث Perthshire ، وتضم منطقتي سكون القديمة Old Scone وسكون الجديدة New Scone وتبعد الأخيرة حوالي ميلين شمال شرق مدينة بيرث، أما سكون القديمة فقد تم فيها تتويج ملوك أسكتلندا حتى عام ١٤٨٨م ، فضلاً عن الملك تشارلز الثاني Charles II عام ١٦٥١م . راجع :

Moore, W., Encyclopedia of Places, London, 1971, p. 659.

Stanford, The Papacy and the Scottish War, p.292.

(10) John Barbour, The Bruce, ed., by Mackenzie, W., London, 1909, p. 384. CF also: Stanford, The Papacy and the Scottish War, pp. 292-293.

(11) Ad Papam, super Episcopis Sancti Andreae & Glasguen. de aliis providendis, in Foedera, Tome I, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, par I, p.63. CF also: Spottiswoode, J., The history of the Church of Scotland: beginning the year of our Lord 203, and continued to the end of the reign of King James VI, Edinburgh, 1847, in three vols., vol. I, pp. 103-104; Ridpath, G., The Border - History of England and Scotland, London, 1776, p.230.

(12) John Barbour, The Bruce, p. 401. CF also: Hunter, D., On a Supposed ProvincialCouncil of the Scottish Church at Dundee in February 1310, in The S. H. R., Vol. 23, No. 92 Jul., 1926, pp. 285-268; Stanford, The Papacy and the Scottish War, pp. 292-293.

(13) Bulla Clementis Pape quinti ad denunciandum Robertum de BrusExcommunicatum pro morte J., Comyn, in Foedera, Tome I, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, par I, pp. 52-53. CF also: Bellesheim, A., History of the Catholic Church of Scotland, From the Introduction of Christianity to the present day, in 4 volumes, vol. II, London, 1887,

p.12; Maxwell, B., Robert the Bruce and the struggle for Scottish Independence, London, 1897, p.134.

(14) A Chronicle of The Popes, p.345. CF also: Murison, A., King Robert the Bruce, Edinburgh, 1980, p. 40; Ridpath, The Border – History, p.230.

كارليل : تدخل في نطاق مقاطعة كمبرلاند Cumberland ، وتقع شمال غرب إنجلترا ، وهى إحدى المدن الإنجليزية إلى تتمتع بحكم ذاتي ، وهى مركز صناعي هام مثل طحن الدقيق والنسيج والآلات الزراعية، وقد دمرت كاتدرائيتها على يد الدانيين Danes في أواخر القرن التاسع الميلادي عام ٨٧٥م ، وتتميز بقلعتها القديمة التي تم تشيدها خلال القرن الحادي عشر الميلادي، وكانت حصنًا هامًا خلال حروب انجلترا مع الأسكتلنديين. راجع: Moore, Encyclopedia of Places, p.148

(15) Annals of Church in Scotland, ed., by Raleigh, W., London, 1921, p. 63; Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, p. 150. CF also: Grafton, R., History of England, London, 1809, 2 vols., vol. I, p.307; Tytler, P., The History of Scotland from the Accession of Alexander III to the Union, Edinburgh, 1866, Vol., I, p.218.

كان بعض المبعوثين التابعين للبابا كلمنت الخامس موجودين في هذا الوقت في إنجلترا لعقد معاهدة سلام بين إنجلترا وفرنسا، والتي كان أهم بنودها الاتفاق على زواج الأمير إدوارد ابن الملك الإنجليزي إدوارد الأول من إيزابيل Isabell ابنة الملك الفرنسي. راجع : Ridpath, The Border – History, p.230.

(16) Calendar of entries in the Papal registers relating to Great Britain and Ireland,Papal Letters, Vol. II, 1305-1342, ed., by Bliss, W., London, 1895, p.49. CF also: Stanford, The Papacy and the Scottish War, pp. 293-294.

(17) The Chronicle of Lanercost, (1272–1347), trans. with notes by Maxwell, H., Glasgow, 1913, p.189. CF also: McNamee, C., The Wars of the Bruces: Scotland, England, and Ireland 1306–1328, Edinburgh, 2006, p.71.

(18) Historical papers and letters from the Northern Registers, edited by Raine, J., London, 1873, p.189. CF also: Dunbar, A., Scottish kings A revised Chronologyof Scottish History, 1005-1625, Edinburgh, 1906, p. 132.

(19) MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.254; Barrow, G., The ScottishClergy in the War of Independence, in The S.H.R., Vol. 41, No. 131, part I Apr.,1962, p.21; Watt, D., Medieval Church Councils in Scotland, Edinburgh, 2000, p.105; Thomson, T., A History of the Scottish People from the earliest times, London, 1893, p.227; Hunter, On a Supposed Provincial Council of the Scottish Church at Dundee,

pp. 280-293.

(20) Stanford, The Papacy and the Scottish War, p. 294 .

(21) Ridpath, The Border – History, p.241.

(22) Historical papers and letters from the Northern Registers, pp. 216-217. CF also:Ridpath, The Border – History, p.242.

(23) The Chronicle of Lanercost, p.203. CF also: McNamee, The Wars of the Bruces,p.85; Ridpath, the Border – History, pp. 241-248.

(24) Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, p. 230; The acts and Monuments of John Foxe, in The Church Historians of England, London, 1865, Vol. II- Part II, p.649; The Book of Pluscarden, pp. 182-184; A chronicle of England, B.C. 55- A.D. 1485, pp. 281-282. CF also: Rait, R., An Outline of the Relations between England and Scotland (500-1707), London, 1901, pp. 54-57.

(25) Thomas Walsingham, Chronica Monasteriis Albani, Historia Anglicana, A. D.1272 – 1381, ed., by Riley, H., London, 1863, Vol., I., p. 137.

(26) Thomas Walsingham, Historia Anglicana, Vol., I, p.138; Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, p. 230.

(27) The acts and Monuments of John Foxe, p.649; Thomas Walsingham, HistoriaAnglicana, p.138. CF also: Ridpath, The Border – History, p.254.

(28) Thomas Walsingham, Historia Anglicana, Vol., I, p.187; Calendar of entries in the Papal registers, p.123.

(29) Stanford, The Papacy and the Scottish War, p.295.

(30) Burton, J., History of Scotland from Agricola's invasion to the extinction of the last Jacobite insurrection, London, 1873, 8 Vols., Vol. I, p.276; Tytler, The History of Scotland, p.296; Maxwell, Robert the Bruce, p.251.

(31) Calendar of entries in the Papal registers, p.127. CF also: Moffat, J., The Church in Scotland, A history of its Antecedents, its Conflicts, and its Advocates, Philadelphia, 1882, p. 216; Thomson, A History of the Scottish People, p.248; Wright, T., The History of Scotland from the Earliest Period to the Present Time, London, 1850, p.104**.**

(32) Bulla, de Treugis Scotiae per Biennium, in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I, pp. 108-109. CF also: Burton, History of Scotland, p.276; Ridpath, The Border – History, p.254; Murison, King Robert the Bruce, p.119.

(33) Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.150 ;The New Chronicles of England and France, ed., by Fabyan, R., London, 1811, p.421; The acts and Monuments of John Foxe, p.649; Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, p.281; Bulla de potestate data Cardinalibus super pace reformanda inter Regem & Robertum de Brus, in Foedera,

Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I, pp. 115-116; Capgrave, The Chronicle of England, p.182. CF also: McNamee, The Wars of the Bruces, p.119; Bellesheim, History of the Catholic Church of Scotland, p.13; Mollat, The Popes at Avignon, p.260.

(34) Bulla, de potestate procedendi contra Robertum de Brus, in Foedera, Tome II,pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I, p.116; Calendar of entries in the Papal registers, p.129. CF also: Ridpath, The Border–History, p.255; MacEwen,A History of the Church in Scotland, p.259; Thomson, A History of the Scottish People, p.248; Scott, W., Scotland, 2 Vols., Vol., I, New York, 1900, pp. 145-146; Maxwell, Robert the Bruce, p.251; Wright, The History of Scotland, p.104.

(35) Calendar of entries in the Papal registers, p.130. CF also: Stanford, The Papacy and the Scottish War, p.296.

(36) Calendar of entries in the Papal registers, p.138. CF also: Mollat, The Popes at Avignon, p. 261.

(37) Bulla Excommmicationis contra omnes inimicos Regis & Invasores, in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I, p.118; Calendar of entries in the Papal registers, p.139. CF also: Stanford, The Papacy and the Scottish War, p.296.

(38) Calendar of entries in the Papal registers, p.138. CF also: Stanford, The Papacy and (the Scottish War, p.296; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.259.

(39) Bulla Excommmicationis contra omnes inimicos Regis & Invasores, in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I, pp. 118-119. CF also: Thomson, A History of the Scottish People, p. 248; Tytler, The History of Scotland, pp. 296-297; Mollat, The Popes at Avignon, p.261.

(40) Bulla contra Fratres, de Ordine Mendicantium, ad populum Hybernicum (Rebellionem praedicantes, in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I, p.122. CF also: Thomson, A History of the Scottish People, p. 248; Wright, The History of Scotland, p.104.

(41) Calendar of entries in the Papal registers, p.130.

(42) Ridpath, The Border – History, p.255; Murison, King Robert the Bruce, pp. 119-120.

(43) Annals of Church in Scotland, p.64. CF also: Scott, Scotland, Vol., I, p. 146; Maxwell, Robert the Bruce, p.252; Thomson, A History of zhe Scottish People, pp. 248-249; Bellesheim, History of the Catholic Church of Scotland, p.13.

(44) The Chronicle of Lanercost, p.218. CF also: Scott, Scotland, Vol., I, p.

146; Grafton, History of England, p.311; Wright, The History of Scotland, p.105.

كانت منطقة الحدود بين إنجلترا وأسكتلندا خلال تلك الفترة تعاني من الفوضى وعدم الاستقرار؛ جراء الغارات المستمرة من كلا الطرفين على حدود الطرف الآخر، وكان العديد من البارونات الإنجليز قد دخلوا في تحالفات مسلحة للدفاع عن ممتلكاتهم ضد الغارات المدمرة للأسكتلنديين، لكن مع سوء الأوضاع الاقتصادية في إنجلترا تحولت هذه الجماعات بعد فترة إلى لصوص وقطاع طرق لم يكن هدفهم سوى النهب والسلب، وقد حافظ الملك روبرت بروس على قنوات اتصال مع هؤلاء اللصوص؛ لمعرفة الأخبار عن الأوضاع داخل إنجلترا. راجع :

Tytler, The History of Scotland, p.298; Ridpath, The Border – History, p.255.

(45) Capgrave, The Chronicle of England, p.182; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.151. CF also: Prestwich, M., Gilbert de Middleton and the Attack on the Cardinals, 1317, in Warriors and Churchmen in the High Middle Ages: Essays to Karl Leyser, ed., by Reuter, T., London, 1992, p. 179; Mollat, The Popes at Avignon, p.261; Thomson, A History of the Scottish People, p.249; Wright, The History of Scotland, p.105.

تم القبض على جيلبرت من ميدلتون في شهر يناير عام ١٣١٨م، ونقل إلى لندن حيث تم قطع رأسه. راجع:

Capgrave, The Chronicle of England, p.183; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.151. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p. 121; Ridpath, The Border – History, p.255.

(46) Ad Papam, de Cardinalibus per Robbatores Spoliatis, in Foedera, Tome II, pars Iet II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I, p.134. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.122.

(47) Burton, History of Scotland, p.277; Murison, King Robert the Bruce, p. 121; Wright, The History of Scotland, p.105; Tytler, The History of Scotland, p.299; Maxwell, Robert the Bruce, p.252; Mollat, The Popes at Avignon, p.261; Ridpath, The Border – History, pp. 255-256; Thomson, A History of the Scottish People, p.249.

(48) Scott, Scotland, Vol. I, p. 146; Tytler, The History of Scotland, p.299; Burton, History of Scotland, p.277; Maxwell, Robert the Bruce, p.252; Murison, King Robert the Bruce, p. 121; Thomson, A History of the Scottish People, p.249 ; Wright, The History of Scotland, p.105.

(49) Thomson, A History of the Scottish People, p.249; Tytler, The History of Scotland, pp. 299-300; Moffat, The Church in Scotland, p. 217; Maxwell, Robert the Bruce, p.253; Murison, King Robert the Bruce, p.

121; Scott, Scotland, Vol., I, pp. 146-147.

(50) Maxwell, Robert the Bruce, p.253; Wright, The History of Scotland, p.105; Tytler, The History of Scotland, p. 301.

(51) Tytler, The History of Scotland, pp. 300-301; Murison, King Robert the Bruce, p.122.

(52) Wright, The History of Scotland, p.105; Tytler, The History of Scotland, p.301;Maxwell, Robert the Bruce, p.253; Thomson, A History of the Scottish People, p.249.

(53) Ad Cardinales, de successu, & transactis, in Tractatu cum Roberto de Brus. in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I, p.141; Annals of Church in Scotland, p.64. CF also: Burton, History of Scotland, pp. 277-278; Scott, Scotland, Vol. I, p. 147; Murison, King Robert the Bruce, p. 123; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.260; Thomson, A History of the Scottish People, p.249.

(54) Tytler, The History of Scotland, p.302; Thomson, A History of the Scottish People, p.250; Ridpath, The Border–History, p.256; Murison, King Robert the Bruce, p.123; Wright, The History of Scotland, p.106.

(55) Ad Cardinales, de successu, & transactis, in Tractatu cum Roberto de Brus. In Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I, p.142. CF also: Tytler, The History of Scotland, p.302; Maxwell, Robert the Bruce, p.253; Bellesheim, History of the Catholic Church of Scotland, pp. 13-14; Thomson, A History of the Scottish People, p.250.

(56) Scott, Scotland, Vol., I, p. 147; Tytler, The History of Scotland, p.302; Burton, History of Scotland, p.278; Wright, The History of Scotland, p.106; Maxwell, Robert the Bruce, p.253; Murison, King Robert the Bruce, p.123; Moffat, The Church in Scotland, p. 217.

(57) Ad Cardinales, de successu, & transactis, in Tractatu cum Roberto de Brus. inFoedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, p.142. CF also:Ridpath, The Border – History, pp. 256-257; Scott, Scotland, Vol., I, p. 147; Tytler, The History of Scotland, p.302; Burton, History of Scotland, p.278; Moffat, The Church in Scotland, p. 217; Thomson, A History of the Scottish People, p.250; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.260.

(58) The Chronicle of Lanercost, pp. 218-219. CF also: Burton, History of Scotland, p.278; Ridpath, The Border – History, p.260; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.260; Murison, King Robert the Bruce, p.125; Moffat, The Church in Scotland, pp. 217-218.

(59) The Chronicle of Lanercost, p.219.

(60) Tytler, The History of Scotland, p.303.

(61) Guthrie, W., A General History of Scotland from the Earliest Accounts to the Present Time, London, 1876, Vol., II, p.250.

(62) Layfield, S., The pope, the Scots, and their " Self-Styled " King: in England and Scotland in The Fourteenth Century New Perspectives, Edited by, King, A., & Penman, M., Woodbridge, 2007.

(63) Bulla de Berewico, post publicationem Treugarum occupata: de Literis Papaelaceratis & Roberto Brus excommunicando, in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, par I, p.151; The acts and Monuments of John Foxe, p.651; The Chronicle of Lanercost, pp. 224-225. CF also: Hill, R., Belief and Practice as Illustrated by John XXII's excommunication of Robert Bruce, in Popular Belief and Practice, Studies in Church History, Vol. viii. edited by Cuming, G., and Baker, D., Cambridge, 1972, pp. 135-138; Bellesheim, History of the Catholic Church of Scotland, p.14; Ridpath, The Border – History, p.260.

(64) Mollat, The Popes at Avignon, p. 261.

(65) Ad De Episcopo Sancti Andreae, in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I, p.160. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.126.

(66) A Chronicle of the Kings of Scotland from Fergus the First to James the Sixth, ed. by Mackenzie, J., Edinburgh, 1830, pp. 64-65. CF also: Tytler, The History of Scotland, p.306; Maxwell, Robert the Bruce, p.260; Dunbar, Scottish kings,pp. 135-136; Scott, Scotland, Vol. I, p. 153.

(67) Maxwell, Robert the Bruce, p.261; Scott, Scotland, Vol. I, p. 155; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.260 .

(68) Historical papers and letters from the Northern Registers, pp. 286-387. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.262.

(69) Calendar of documents relating to Scotland, vol. III (1307-1357), ed. by Bain, J.,Edinburgh, 1887, p.125. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.265; Stanford, The Papacy and the Scottish War, p.297; Ridpath, The Border – History, p.260.

عن استعدادات الملك الإنجليزي لتلك الحملة، وقوة الجيش الإنجليزي، وأحداث الحملة راجع :

Calendar of documents relating to Scotland, pp. 125-126. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, pp. 265-270.

(70) Historical papers and letters from the Northern Registers, p.310. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.265; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.261.

(71) Stanford, The Papacy and the Scottish War, p.297.

(72) Calendar of documents relating to Scotland, p.125. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.265; Ridpath, The Border – History, p.260.

(73) Calendar of documents relating to Scotland, p. 129; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.155-156. CF also: Maxwell, Robert

the Bruce, p.271; Murison, King Robert the Bruce, p.131; Ridpath, The Border – History, p.264.

(74) Historical papers and letters from the Northern Registers, p.296; Calendar of entries in the Papal registers, p.191. CF also: MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.261; Mollat, The Popes at Avignon, pp. 261-262; Maxwell, Robert the Bruce, pp. 271-272; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.261.

(75) Bulla contra Robertum de Brus excommunicatum, super morte Johannis de Comins, in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars I,p. 189; Calendar of entries in the Papal registers, p.192. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, pp. 271-272; Thomson, A History of the Scottish People, p.257; Wright, The History of Scotland, p.111.

(76) Calendar of entries in the Papal registers, p.192. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.272; Murison, King Robert the Bruce, p.132 .

(77) Annals of Church in Scotland, p.64; John Barbour, The Bruce, p. 479; The Bookof Pluscarden, p.163. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.272; Bellesheim, History of the Catholic Church of Scotland, p.14; Dunbar, Scottish kings, p.136; Scott, Scotland, Vol., I, p. 156; Wright, The History of Scotland, p. 111; Moffat, The Church in Scotland, p. 219.

(78) Letter of Scottish barons to Pope John XXII (Declaration of Arbroath) 6 April 1320, in E. H. D., ed., by Rothwell, H., London, 1975, Part III, (1189–1327), pp. 541-544; The Book of Pluscarden, pp. 163-166. CF also: Duncan, A., The Nation of Scots and the Declaration of Arbroath, London, 1970, pp. 34–37; Simpson, G., The Declaration of Arbroath Revitalized, in The S. H. R., Vol. 56, No. 161, part I, Apr., 1977, pp. 11-33; Maxwell, Robert the Bruce, pp. 272-274; Guthrie, A General History of Scotland, pp. 264-266; Grant, G., The Declaration of Arbroath revitalized, in The S.H.R., 56, 1977, pp. 11-33.

(79) Annals of Church in Scotland, p.64. CF also: Duncan, A., The War of the Scots, 1306-23: in Transactions of the Royal Historical Society, Sixth Series, Vol. II, 1992, p.130; Ridpath, The Border – History, p.266; Wright, The History of Scotland, p.112; Tytler, The History of Scotland, p.321.

(80) The Book of Pluscarden, p.163-164; Liber Pluscardensis, vol., I, ed., by Skene, F., in The Historians of Scotland, Vol. VII. Edinburgh, 1877, pp. 202-203; Sir James Balfour, Historical Works, Edinburgh, 1824, vol., I, pp. 98-100. CF also: Tytler, The History of Scotland, p.319; Scott, Scotland, Vol., I, p. 157; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.261.

(81) The Book of Pluscarden, pp. 165-166; Liber Pluscardensis, pp. 204-205. CF also: Burton, History of Scotland, p.287; Tytler, The History of Scotland, p.321; Scott, Scotland, Vol., I, p. 157; Wright, The History of Scotland, p.111.

(82) Bulla, ad Pacem cum Scotis, hortatoria, in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars II, p.6. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.277; MacEwen, A History of the Church in Scotland, pp. 261-262; Moffat, The Church in Scotland, p. 219; Burton, History of Scotland, p.287; Guthrie, A General History of Scotland, p.267.

(83) Capgrave, The Chronicle of England, p.191; Liber Pluscardensis, pp. 201-205. CF also: Burton, History of Scotland, pp. 287-288; Maxwell, Robert the Bruce, p.277; Murison, King Robert the Bruce, p.133; Ridpath, The Border – History, p.266.

(84) De Tractatu habendo cum Scotis in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars II, p. 8; Calendar of documents relating to Scotland, p.133.CF also: Maxwell, Robert the Bruce, pp. 277-278; Ridpath, The Border – History, p.266; Murison, King Robert the Bruce, p.135; Guthrie, A General History of Scotland, pp. 267-268.

(85) De Hominibus de Scotia, ad Pacem recipiendis in Foedera, Tome II, pars I et II,ed., Holmes, G., 1739, Tome II., pars II., p. 12; Calendar of documents relating to Scotland, p.134. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.278.

(86) De Forisfacturis Scotis Pardonandis in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars II, p.13; Calendar of documents relating to Scotland, p.134. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, pp. 277-278; Ridpath, The Border–History, p.267.

(87) Commissio ad tractandum de Pace, cum Roberto de Brus, in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars II, p.14. CF also: Ridpath, The Border – History, p.267; Burton, History of Scotland, p.288.

(88) Ridpath, The Border – History, p.267.

(89) De Processibus contra Scotos. in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G.,1739, Tome II, par II, p.23. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.136.

(90) Ad Cardinales, super Processibus memoratis in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, pars II, pp. 23-24. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.136; Ridpath, The Border – History, p.268.

(91) Burton, History of Scotland, p.288; Maxwell, Robert the Bruce, p.280; Murison, King Robert the Bruce, p.137.

(92) The acts and Monuments of John Foxe, p.654; A chronicle of England, B.C. 55- A.D. 1485, p.288; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, p.166. CF also: Scott, Scotland, Vol., I, pp. 163-164; Grafton, History of England, p.316; Ridpath, The Border – History, pp. 269-270; Guthrie, A General History of Scotland, pp. 271-273.

(93) Calendar of documents relating to Scotland, p.148. CF also: Maxwell,

Robert theBruce, p.287-288; Murison, King Robert the Bruce, pp. 139-140.

(94) England's Chronicle, or the Lives & Reigns of the Kings and Queens from time of Julius Caesar to the present reign of King William and Queen Mary, ed., by Heath, J., London, 1689, p. 114; A chronicle of England, B.C. 55- A.D. 1485, p. 288; The acts and Monuments of John Foxe, p.654; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, pp. 169-170; Capgrave, The Chronicle of England, p.191; Forma Treugae, per tresdecem Annos, ad recipiendis ad requisitionem Roberti de Brus accordatae, in Foedera, Tome II, pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II, par II, pp. 73-74. CF also: McNamee, The Wars of the Bruces, p.310.

(95) Forma Treugae , per Robertum de Brus signatae, in primis praetermisso, fed ad finem titulo Regis expressato in Foedera, Tome II., pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II., pars II., p.76. CF also: Burton, History of Scotland, p.294; Scott, Scotland, Vol., I, p. 167; Murison, King Robert the Bruce, p.141.

(96) Annals of Church in Scotland, p.64; The Book of Pluscarden, p.190. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.293; Scott, Scotland, Vol., I, p. 167; Murison, King Robert the Bruce, p.141; Ridpath, The Border – History, p.277; Guthrie, A General History of Scotland, p.283; Moffat, The Church in Scotland, p. 220 ; Tytler, The History of Scotland, p.332.

(97) Maxwell, Robert the Bruce, p.293; Thomson, A History of the Scottish People,p.261. Murison, King Robert the Bruce, pp. 141-142; Burton, History of Scotland, p.294-296; Ridpath, The Border – History, p.277.

(98) Burton, History of Scotland, p.296; Maxwell, Robert the Bruce, p.294; Murison, King Robert the Bruce, p.142 ;Thomson, A History of the Scottish People, p.261.

كان الملك الفرنسي فيليب الرابع قد ترك مهمة قيادة الحملة التي كان ينوي القيام بها إلى الأرض المقدّسة إلى شقيقه شارل، وبمجرد جلوسه على العرش الفرنسي أرسل الملك شارل سفارة إلى البابوية يخبره بعزمه على التوجه بحملة نحو فلسطين، لكن تدخلت أمور أخرى أعاقت الحملة . راجع:

Ridpath, The Border – History, p.277.

(99) Burton, History of Scotland, p.296; Murison, King Robert the Bruce, p.142; Moffat, The Church in Scotland, pp. 220-221; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.263; Thomson, A History of the Scottish People, pp. 261-262; Wright, The History of Scotland, p.114; Tytler, The History of Scotland, p.332.

(100) Maxwell, Robert the Bruce, p.295; Thomson, A History of the Scottish People,p.262.

(101) Calendar of documents relating to Scotland, p.156; Pro Nunciis Roberti de Brus, ad tractandum super Finali Pace, in Foedera, Tome II., pars I et II, ed., Holmes, G., 1739, Tome II., par II., p.117. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, pp. 296-297; Ridpath, The Border – History, pp. 278-279.

(102) Rait, An Outline of the Relations, p. 59; Maxwell, Robert the Bruce, p. 297; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.263 .

(103) John of Fordun, Chronicle of Scottish Nation, trans. from original texts by Skene, J., & ed. by Skene, W., in the Historians of Scotland, Edinburgh, 1872, Vol., IV, p.343; Inventaire Chronologique Des Documents Relatifs À L'histoire D'ecosse, Edinbourg, 1839, p. 22. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p. 303.

(104) John of Fordun, Chronicle of Scottish Nation, p.343. CF also: Stanford, ThePapacy and the Scottish War, p.300.

(105) Murison, King Robert the Bruce, p.143.

(106) Ridpath, The Border – History, p.280; Murison, King Robert the Bruce, p.143.

(107) Murison, King Robert the Bruce, p.143.

(108) The Book of Pluscarden, p.190; Sir James Balfour, Historical Works, p. 102. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, pp. 303-304; Wright, The History of Scotland, p.115; Rait, An Outline of the Relations, p.59; Scott, Scotland, Vol., I, p. 168.

(109) Froissart, J., Chronicles of England, France, Spain, and The adjoining countries: from The latter Part of The reign of Edward II to The Coronation of Henry IV, trans. by Johnes, T., London, 1857, in Two Volumes, Vol., II, pp. 37-38; The acts and Monuments of John Foxe, p.667. CF also: Wright, The History of Scotland, p.115; Grafton, History of England, p.328; Maxwell, Robert the Bruce, p. 307.

(110) A chronicle of England, B.C. 55- A.D. 1485, p.291; The acts and Monuments of John Foxe, pp. 667-668; John of Fordun, Chronicle of Scottish Nation, p.344; The Chronicles of Froissart, trans. by Bourchier, J., ed. and reduced into one Volume by Macaulay, G., London, 1904, pp. 17-25; A chronicle of the Kings of England from the time of Romans Government to the death of James the first, ed., by Baker, R., London, 1833, p.116; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, pp. 188-189. CF also: Murison, King Robert the Bruce, pp. 144-148.

(111) Calendar of documents relating to Scotland, p.165; John of Fordun, Chronicle of Scottish Nation, p.344; The Book of Pluscarden, pp. 190-191. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p. 306; Ridpath, The Border – History, p.286.

(112) A chronicle of England, B.C. 55- A. D. 1485, p.291; John of Fordun, Chronicleof Scottish Nation, pp. 344-345; Thomas Walsingham, Historia Anglicana, pp. 190-192; A chronicle of the Kings of England, p.116; The Chronicles of Froissart, p.26; The Book of Pluscarden, pp. 191-192. CF also: Grafton, History of England, p.331; Rait, An Outline of the Relations, p.59; Scott, Scotland, Vol., I, pp. 177-178.

عرفت هذه الاتفاقية أيضًا باتفاقية نورثمباتون Northampton حيث أقرها البرلمان الإنجليزي في الرابع من شهر مايو عام ١٣٢٨م في مدينة نورثمباتون، وتعد هذه الاتفاقية من أهم الوثائق المتعلقة بالتاريخ الأسكتلندي بصفة عامة، وبتاريخ العلاقات الإنجليزية – الأسكتلندية بصفة خاصة، حيث أصبح الملك روبرت بروس ملكًا مستقلاً على مملكة مستقلة بعيدة عن التدخلات الإنجليزية؛ مقابل مبلغ كبير تم دفعه للتاج الإنجليزي، وبموجب هذه المعاهدة عادت الحدود بين البلدين كما كانت في عهد الملك الأسكتلندي ألكسندر الثالث Alexander III (١٢٤٩– ١٢٨٦م). وقد استمرت الاتفاقية سارية المفعول لمدة خمس سنوات فقط حيث نقضها الملك الإنجليزي إدوارد الثالث حينما جدد غزوه لأسكتلندا عام ١٣٣٣م، لكن تم عقد اتفاقية سلام نهائية بين البلدين عام ١٣٥٧م، بمقتضاها تخلى الملك الإنجليزي عن محاولاته للتدخل في الشئون الأسكتلندية. راجع:

Chronicles of England, Scotland and Ireland, ed. by Holinshed, R., London, 1808,Six Vols, Vol. V, pp. 359-360. CF also: Murison, King Robert the Bruce, p.148; Maxwell, Robert the Bruce, pp. 323-326; Ridpath, The Border – History, pp. 287-288 Wright, The History of Scotland, p.119.

(113) Calendar of documents relating to Scotland, p.173. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, pp. 333-334.

(114) Dunbar, Scottish kings, p.139; Ridpath, The Border – History, p.288; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.263.

(115) Ecclesiastical Chronicle for Scotland, ed., by Gordon, J., Glasgow, 1867, Vol., I, pp. 194-195; Calendar of entries in the Papal registers, p. 289. CF also: Maxwell, Robert the Bruce, p.334; Murison, King Robert the Bruce, p.149.

(116) Maxwell, Robert the Bruce, p.336; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p.264; Watt, Medieval Church Councils, p.115.

(117) Chronicles of England, Scotland and Ireland, Vol., V., p.360; John of Fordun,Chronicle of Scottish Nation, p.345; The Chronicles of Froissart, p.26. CF also: Bellesheim, History of the Catholic Church of Scotland, pp. 15-16; Dunbar, Scottish kings, p.140; Ridpath, The Border – History, p.290.

(118) Ecclesiastical Chronicle for Scotland, pp. 191-192; Calendar of entries in the Papal registers, p. 291. CF also: Bellesheim, History of the Catholic Church of Scotland, p.15; MacEwen, A History of the Church in Scotland, p. 264.

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها في حواشي البحث :

الاختصار	البيـــــــان
E. H. D.	English Historical Documents
E. H. R.	English Historical Review
Foedera	Foedera, conventiones, literæ, et cujuscunque generis acta publica, inter reges Angliæ et alios quosvis imperatores, reges, pontifices, principes, vel communitates, ab ineunte sæculo duodecimo, viz. ab anno 1101, ad nostra usque tempore habita aut tractata
R. S.	Rolls Series
S. H. R.	Scottish Historical Review

قائمة المصادر والمراجع

أولا : الوثائق والمراسلات :

- Ad Cardinales, de successu, & transactis, in Tractatu cum Roberto de Brus. in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, p.141.
- Ad Cardinales, super Processibus memoratis in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars II, pp. 23-24.
- Ad De Episcopo Sancti Andreae, in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, p.160.
- Ad Papam, de Cardinalibus per Robbatores Spoliatis, in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, p.134.
- Ad Papam, super Episcopis Sancti Andreae & Glasguen. de aliis providendis, in Foedera, Tome I, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, p.63.
- Bulla, ad Pacem cum Scotis, hortatoria, in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars II, p.6.
- Bulla Clementis Pape quinti ad denunciandum Robertum de Brus Excommunicatum pro morte J. Comyn, in Foedera, Tome I, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, pp. 52-53.
- Bulla contra Fratres, de Ordine Mendicantium, ad populum Hybernicum Rebellionem praedicantes, in Foedera, Tome II., par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, p.122.
- Bulla contra Robertum de Brus excommunicatum, super morte Johannis de Comins., in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, p. 189.
- Bulla de Berewico, post publicationem Treugarum occupata: de Literis Papae laceratis & Roberto Brus excommunicando, in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, p.151.
- Bulla de potestate data Cardinalibus super pace reformanda inter Regem & Robertum de Brus, in Foedera, Tome II., par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, pp. 115-116.
- Bulla, de potestate procedendi contra Robertum de Brus, in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, p.116.
- Bulla, de Treugis inter Regem & Robertum de Brus ineundis, in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, p.124.
- Bulla, de Treugis Scotiae per Biennium, in Foedera, Tome II, par. I

et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, pp.108-109.

- Bulla Excommmicationis contra omnes inimicos Regis & Invasores, in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars I, p.118-119.
- Commissio ad tractandum de Pace, cum Roberto de Brus, in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars II, p.14.
- De Forisfacturis Scotis Pardonandis in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars II, p. 13.
- De Hominibus de Scotia, ad Pacem recipiendis in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars II, p. 12.
- De Processibus contra Scotos. in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars II, p.23.
- De Tractatu habendo cum Scotis in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars II, p. 8
- Forma Treugae, per Robertum de Brus signatae, in primis praetermisso, fed ad finem titulo Regis expressato in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars II, p.76.
- Forma Treugae, per tresdecem Annos, ad recipiendis ad requisitionem Roberti de Brus accordatae, in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars II, pp. 73-74.
- Letter of Scottish barons to Pope John XXII (Declaration of Arbroath) 6 April 1320, in E.H.D., ed., by Rothwell, H., London, 1975, Part III, (1189–1327), pp. 541-544.
- Pro Nunciis Roberti de Brus, ad tractandum super Finali Pace, in Foedera, Tome II, par. I et II, ed., Holmes, G., 1739, pars II, p.117.

ثانيًا: المصادر الأجنبية :

- The acts and Monuments of John Foxe, in The Church Historians of England, London, 1865.
- Annals of Church in Scotland, ed., by Raleigh, W., London, 1921.
- Annals of Scotland from the accession of Malcolm III in the year MLVII to the accession of the House of Stewart in the year MCCCLXXI, 3 vols., vol. I, ed., by Hailes, D., Edinburgh, 1819.
- The Book of Pluscarden, in The Historians of Scotland, vol. X, ed. By Skene, J., Edinburgh, 1880.
- Calendar of documents relating to Scotland, ed., Bain, J., preserved in Public Record Office, 4 vols., vol. III, A.D. 1307—1357, Edinburgh, 1887.

- Calendar of entries in the Papal registers relating to Great Britain and Ireland, Papal Letters, vol. II, 1305-1342, ed., by Bliss, W., London, 1895.
- Capgrave, J., The Chronicle of England, ed., by Hingeston, F., London, 1858.
- A chronicle of England, B.C. 55- A.D. 1485, written and illustrated by Doyle, J., London, 1864.
- A Chronicle of the Kings of Scotland from Fergus the First to James the Sixth, ed. by Mackenzie, J., Edinburgh, 1830.
- A chronicle of the Kings of England from the time of Romans Government to the death of James the first, ed., by Baker, R., London, 1833.
- A Chronicle of The Popes from St. Peter to Pius X, ed., Mckilliam, A.,London, 1912.
- Chronicles of England, Scotland and Ireland, Six vols., vol. V, ed. by Holinshed, R., London, 1808.
- The Chronicle of Lanercost, (1272–1347), trans. with notes by Maxwell, H., Glasgow, 1913.
- Chronicles of the Picts, Chronicles of the Scots, and other early Memorials of Scottish History, ed., by Skene, W., Edinburgh, 1867.
- Chronicles of the reigns of Edward I and Edward II, Annales Londonienses and Annales Paulini, vol. I, ed., by Stubbs, W., in R. S., London, 1965.
- The Chronicles of Froissart, trans. by Bourchier, J., ed. and reduced into one Volume by Macaulay, G., London, 1904.
- Ecclesiastical Chronicle for Scotland, vol. I, ed., by Gordon, J., Glasgow, 1867.
- England's Chronicle, or the Lives & Reigns of the Kings and Queens from time of Julius Caesar to the present reign of King William and Queen Mary, ed., by Heath, J., London, 1689.
- Froissart, J., Chronicles of England, France, Spain, and The adjoining countries: from The latter Part of The reign of Edward II to The Coronation of Henry IV, trans. by Johnes, T., in Two Volumes, vol. II, London, 1857.
- Historical papers and letters from the Northern Registers, edited by Raine, J., London, 1873.
- Inventaire Chronologique Des Documents Relatifs À L'histoire

D'ecosse, Edinbourg, 1839.

- John Barbour, The Bruce, ed., by Mackenzie, W., London, 1909.
- John of Fordun, Chronicle of Scottish Nation, trans. from original texts by Skene, J., & ed. by Skene, W., in the Historians of Scotland, vol. IV**,** Edinburgh, 1872,
- Liber Pluscardensis, vol. I, ed., by Skene, F., in The Historians of Scotland, vol. VII, Edinburgh, 1877.
- Matthew of Westminster,

Flowers of History, edited by Yonge, C., London, 1853.

- The New Chronicles of England and France, ed., by Fabyan, R., London, 1811.
- Sir James Balfour, Historical Works, vol. I, Edinburgh, 1824.
- Thomas Walsingham, Chronica Monasteriis Albani, Historia Anglicana, vol. I, A. D., 1272– 1381, ed., by Riley, H., London, 1863.

ثالثًا : المراجع الأجنبية والدوريات العلمية الأوربية :

- Barrow, G.,

The Scottish Clergy in the War of Independence, in The S.H.R., vol. 41, no. 131, part I Apr., 1962, pp. 1-22.

- Bellesheim, A.,

History of the Catholic Church of Scotland, From the Introduction of Christianity to the present day, in 4 volumes, vol. II, London, 1887.

- Burton, J.,

History of Scotland from Agricola's invasion to the extinction of the last Jacobite insurrection, 8 vols, vol. I, London, 1873.

- Dunbar, A.,

Scottish kings A revised Chronology of Scottish History, 1005-1625, Edinburgh, 1906.

- Duncan, A.,

The Nation of Scots and the Declaration of Arbroath, London, 1970.

- Duncan, A.,

The War of the Scots, 1306-23: in Transactions of the Royal Historical Society, Sixth Series, vol. II, 1992.

- Edward, D.,

Encyclopedia of the Medieval World, New York, 2005.

- Grafton, R.,

History of England, 2 vols., vol. I, London, 1809.

- Grant, A.,

The Death of John Comyn: What Was Going On? in The S.H.R., vol. LXXXVI, 2: no. 222: October 2007, pp. 176–224.

- Grant, G.,

The Declaration of Arbroath revitalized, in The S.H.R., 56, 1977, pp. 11-33.

- Guthrie, W.,

A General History of Scotland from the Earliest Accounts to the Present Time, vol. II, London, 1876.

- Hill, R.,

Belief and Practice as Illustrated by John XXII's excommunication of Robert Bruce, in Popular Belief and Practice, Studies in Church History, vol. viii, ed., by Cuming, G., and Baker, D., Cambridge, 1972, pp. 135-138.

- Hunter, D.,

On a Supposed Provincial Council of the Scottish Church at Dundee in February 1310, in The S.H.R., vol. 23, no. 92 Jul., 1926, pp. 280-293.

- John, CH.,

Robert Bruce's rebellion in 1306, in E.H.R., vol. 33, no. 131, July, 1918.

- Layfield, S.,

The pope, the Scots, and their " Self - Styled " King: in England and Scotland in The Fourteenth Century New Perspectives, Edited by King, A., & Penman, M., Woodbridge, 2007.

- MacEwen, A.,

A History of the Church in Scotland: in 2 vols., vol. I, 397-1546, London, 1915.

- Maxwell, B.,

Robert the Bruce and the struggle for Scottish Independence, London, 1897.

- **McNamee, C.,**

The Wars of the Bruces: Scotland, England, and Ireland 1306–1328, Edinburgh, 2006.

- **Moffat, J.,**

The Church in Scotland, A history of its Antecedents, its Conflicts, and its Advocates, Philadelphia, 1882.

- **Mollat, G.,**

The Popes at Avignon 1305-1378, New York, 1965.

- **Moore, W.,**

Encyclopedia of Places, London, 1971.

- **Murison, A.,**

King Robert the Bruce, Edinburgh, 1980.

- **Prestwich, M.,**

Gilbert de Middleton and the Attack on the Cardinals, 1317, in Warriors and Churchmen in the High Middle Ages: Essays to Karl Leyser, ed., by Reuter, T., London, 1992.

- **Rait, R.,**

An Outline of the Relations between England and Scotland (500-1707), London, 1901.

- **Ridpath, G.,**

The Border - History of England and Scotland, London, 1776.

- **Robieson, W.,**

The Growth of Parliament and the War with Scotland 1216-1307, London, 1914.

- **Scott, W.,**

Scotland, 2 vols., vol. I, New York, 1900.

- **Simpson, G.,**

The Declaration of Arbroath Revitalized, in The S.H.R., vol. 56, no. 161, part I, Apr., 1977, pp. 11-33.

- **Smallwood, T.,**

An unpublished early account of Bruce's murder of Comyn, in The S. H. R. 54, 1975, pp. 1-10.

- **Spottiswoode, J.,**

The history of the Church of Scotland: beginning the year of our Lord 203, and continued to the end of the reign of King James VI, , in three vols., vol. I., Edinburgh, 1847.

- Stanford, W.,

The Papacy and the Scottish War of Independence, in The Catholic Historical Review, vol. 31, no. 3, Oct., 1945, pp. 291-300.

- Thomson, T.,

A History of the Scottish People from the earliest times, London, 1893.

- Tosti, D.,

History of Pope Boniface VIII and his time, with notes and documentary evidence, New York, 1911.

- Tout, T.,

Edward the First, London, 1896.

- Tytler, P.,

The History of Scotland from the Accession of Alexander III to the Union, vol. I, Edinburgh, 1866.

- Watt, D.,

Medieval Church Councils in Scotland, Edinburgh, 2000.

- Wright, T.,

The History of Scotland from the Earliest Period to the Present Time, London, 1850.